

روايات مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري للغاية!!
٧٢
ابن الشيطان
Looloo
www.dvd4arab.com


ملف المستقبل
روايات بوليسية للشباب من
المؤلف
د. نبيل فاروق
ابن الشيطان
• ماذا تقول الأساطير القديمة، عن (ابن الشيطان)؟
• من هو (بعلزبول)، و(لوسيفر)؟..
• تُرى.. لمن يكون النصر هذه المرَّة، والصراع يدور بين (نور) البشرى، ونصف شيطان؟
• اقرإ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور)، من أجل البشرية كلها هذه المرَّة..
العدد القادم: مبعوث الجحيم
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



١ ــ منذ الأزل ..

فى ركن مَنسِىٍّ مهمل ، من كتب الأساطير ..
فى جانب مظلم مُبهم ، فى عقول البشر ..
بحروف دقيقة مرتجفة ..
بدأت هذه الأسطورة ..
أسطورة (ابن الشيطان) ..
ومنذ الأزل ، راح البشر يردِّدونها فى خوف ..
ومنذ الأزل ، كانوا يرتجفون لذكر اسمه ..
(بعلزبول الصغير) .. (لوسيفر الابـــن) .. (عين إبليس) .. كلها أسماء ترمز إليه(*) ..
وكلها تُعنى الشرّ ..
والجحيم ..
لا أحد يدرى متى بدأت تلك الأسطورة ..

(*) (بعلزبول) ، و (لوسيفر) ، و (إبليس) : كلها أسماء ترمز إلى الشيطان ، فى معظم لغات العالم .

لا أحد يدرى من كان أوَّل من ردَّدها ..

بل لا أحد يدرى ــ حتى بالنسبة للمتخصِّصين ــ أين نجد تفاصيلها ..

إنها كغيرها من الأساطير ..

نصف معروفة ..

نصف مجهولة ..

غامضة ..

مظلمة ..

مخيفة ..

وهى كغيرها من الأساطير ..

فيها قَبَس من الحقيقة ..

لمحة من النار ، وسط فيض من الدُّخان ..

لَمْحة مُرْعِبة ..

ومنشأ الأسطورة يعود إلى آلاف السِّنين ..

إلى بدايات الخلق الأولى ..

بعد أن انحسمت المعركة ، وهبط (آدم) و (حواء) إلى الأرض ..

وانتشر نسلهما ..

وساد البشر كوكبهم ..

وربح الشيطان معركة مع (قابيل) ، ودفعه إلى قتل شقيقه (هابيل) ، أوَّل شهيد فى التاريخ .

ونجح مع عشرات غيره ..

وانتصر فى عدة مواقع ، فى قلوب البشر ..

واندحر فى أضعاف أضعافها ..

وذات يوم ، من أيام القدر ، اختلى الشيطان بنفسه ، يسترجع تفاصيل معركته مع بنى (آدم) ، ويستعرض قوته وقوتهم ..

ويومها ، لاحظ الشيطان أنه الأضعف ..

ما زال يجهل الكثير عن بنى البشر ..

صحيح أنهم يستجيبون لوسوساته ، وقد يدفعهم إلى الرَّذيلة والمعصية ..

ولكنَّ شيئًا ما فى أعماقهم كان يقاومه ..

وأحيانًا يهزمه ..

هم أنفسهم يجهلون طبيعة هذا الشىء ..

أحيانًا يطلقون عليه اسم (الضمير) ..

وأحيانًا أخرى يسمُّونه (المبادئ) ..

وأحيانًا يقولون إنه (الأخلاق) ، أو (حسن المنشأ) ..

ولكنه فى كل الأحيان مجهول ..

كل علماء البشر لم يجدوا له أثرًا ، طوال دراستهم للجسم البشرىّ ..

لم يجدوا له قانونًا ..

ولكنه ــ للعجب ــ أقوى أسلحتهم ..

وفى اهتمام شديد ، راح الشيطان يفكّر ويبحث عن وسيلة ؛ لمعرفة ذلك السلاح ، وكشف سِرّه ..

وفجأة ، تفتّق عقله عن خُطّة مخيفة ..

خُطّة شيطانية ..

وعلى الفور ، ودون إضاعة لحظة واحدة ، على الرغم من عمره الممتد إلى ما لانهاية ، شرع فى تنفيذ خُطّته ..

وانتقى الشيطان ، من بين بنى البشر ، حسناء فاتنة ..

وفى أبهَى حُلّة ، وأحسن صورة ، التقى بها ..

وأحبّته ..

وتزوّجها ..

ولم تدرك المسكينة أنها قد تزوّجت شيطانًا ..

لم تدرك غرابة الأمر ، إلّا عندما لم يستغرق حملها منه سوى شهر واحد .

وبعدها أنجبت ابنه ..

(ابن الشيطان) ..

وأدركت البشرية المسكينة هول الموقف ، وفداحة المأساة ..

وراحت تذبل وتنهار ..

وراح (ابن الشيطان) ينمو وينمو ..

ولم يمض عام واحد ، حتى صار (بعلزبول الصغير) شابًا وسيمًا ، جميل الطلعة ..

كان له جمال أفعى سامّة ..

وكانت له عينان من نار ..

وذات يوم ، رأت ابنة البشر ابنها ، وهو يركع أمام أبيه ..

ورأت ، وهى ترتعد رُعبًا ومرارة ، الشيطان يدفع يده فى صدر ابنه ، وينتزع قلبه ، ثم يغسله فى مزيج مخيف ..

مزيج من الظلام والخيانة ، والخديعة ، والقسوة ، والشرّ ، والبغضاء ..

مزيج الشرّ ..

وشهقت الأم المُلتاعة ..

وكانت شهقتها الأخيرة ..

ماتت المسكينة ، وهى تستغفر ربها ، وتبكى ذنبًا لم ترتكبه ، ولم تدركه ..

وارتاح الشيطان إلى أن مهمَّته على الأرض قد انتهت ..

وعاد إلى أرضه ..

وترك لنا ابنه على أرضنا ..

ونشأت الأسطورة ..

وعلى الرغم من كون (ابن الشيطان) شبه خالد ..

وعلى الرغم من عمره غير المحدود ..

كانت له نقطة ضعف ..

نقطة واحدة ..

وعَبْرَ الأجيال والعصور ، ظلَّ (ابن الشيطان) شابًّا وسيمًا قويًّا ، يبذر الشر ، ويحصد الدماء والمرارة من حوله ..

وعَبْرَ الزمن تصدَّى له المؤمنون ..

وهزموه ..

ولكنه كان كالعنقاء(*)

(*) العنقاء : طائر خرافى ، قال عنه العرب قديمًا إنه أضخم الطيور المعروفة على وجه البسيطة ، وأشرسها ، وأنه خالد أبد الدهر ، لا تقتله إلا النيران ، وحتى بعد موته ، يمكنه أن ينهض من رماده ، ويعود حيًّا

لا يلبث أن ينهض من وسط رماده ..

ويعاود القتال ..

هكذا تقول الأسطورة ..

وهكذا تبدأ قِصَّتنا ..

* * *



٢ — عودة الشّيطان ..

دار العمل على قدم وَساق ، فى تلك المنطقة الصحراوية ، المتاخمة لـ (القاهرة) الجديدة ، لإنشاء موقع جديد ، من مواقع البحث عن خام البترول ، وهتف مهندس المَوْقع ، وهو يبتسم فى سعادة :

— رائع يا رجال .. سينتهى العمل هنا ، قبل مَوْعده المقرّر بأسبوع كامل

تهلّلت أسارير الرجال ، وغمغم أحدهم :

— لا تنس أنك تدفعنا للعمل بأضعاف طاقتنا يا سيِّدى .

ربَت مهندس الموقع على ظهره ، وهو يضحك قائلًا فى مرح :

— اطمئن .. ستتناسب مكافأة الإنتاج مع ذلك .

ابتسم الرجل ، وهزّ رأسه ، وهو ينصرف مبتعدًا ، على حين اقترب عامل آخر من المهندس ، وناوله قرصًا معدنيًّا صغيرًا ، وهو يقول :

— سيِّدى .. لقد عثرنا على هذا ، فى أثناء الحفر .

تناول المهندس القرص الصغير ، وقلّبه بين أصابعه يفحصه فى دهشة واهتمام ، قبل أن يغمغم فى حيْرة :

— ما هذا ؟

قال العامل فى بلادة :

— يبدو أنها عملة أثرية ، أو شىء من هذا القبيل يا سيِّدى ، فتلك النقوش عليها عجيبة

تطلّع المهندس إلى تلك النقوش العجيبة فى حيْرة ..

كانت متشابكة ، ومعقّدة إلى أقصى حدّ .

ومخيفة ..

شىء ما فيها ، أو فى ذلك القرص ، جعلها تبدو مخيفة .

ولسبب ما ، لم يدرِ كُنهه ، بدت له تلك النقوش مألوفة .

كان واثقًا من أنه لم يرَ شبيهًا لها من قبل ..

ولكنها بدت مألوفة ..

تناقض عجيب ، ضاعف من طاقة الخوف فى أعماقه ..

خوف مُبهم عجيب ..

خوف جعل كل خلية من خلاياه ترتجف ..

وبحركة حادَّة ، أشاح بوجهه عن القرص ، وكأنه يخشى رؤيته ، وقال فى توتُّر :

ـــ لو أنها عملة أثرية ، فمن الأفضل أن نخفى أمرها تمامًا ، وإلَّا سعى رجال الآثار جاهدين ، لإيقاف العمل فى الموقع ، بحجَّة حماية الآثار ، على حين قد تكون تلك العملة مجرَّد قرش سقط من ثقب صغير ، فى جيب أحد الأقدمين ..

ضحك العامل ، وهو يقول :

ـــ نعم يا سيِّدى .. أنت على حقّ .

قالها العامل فى بساطة ، وانصرف ..

وبقى المهندس (يحيى) وحده ..

مع القُرص ..

ومرَّة أخرى راح يتطلَّع إلى النقوش ..

ومرَّة أخرى ارتجف ..

ارتجف من قمة رأسه ، حتى أخمص قدميه ..

ودسَّ القرص فى جيبه ، وهو يتمتم فى توتُّر :

ـــ لست أدرى ما أنت ، ولكنك شىء بشع .. بشع حتمًا ..

وعاد يواصل عمله فى انهماك ..

أو هو تظاهر بذلك ..

* * *

نسىَ المهندس (يحيى) أمر القرص حقًّا ..

مع انهماكه فى العمل ، وشغفه بوضع اللَّمسات الأخيرة له ، غاب عن ذهنه أمر القرص تمامًا ..

والدليل على ذلك هو أنه كان شديد المَرَح ، وهو يغادر الموقع فى المساء ، ويستقلّ سيارته الصاروخية إلى منزله ..

وهناك ، فى منزله ، تذكَّر القرص مرَّة أخرى ..

كان يفرغ جيوبه من محتوياتها ، عندما رآه ..

وبتوتُّر بالغ ، أمسك (يحيى) القرص ، وعاد يتأمَّله فى دهشة وحَيْرة ..

كانت تلك النقوش تبدو له الآن أشدّ وضوحًا ..

وتساءل فى صوت مسموع :

ـــ ما تلك النقوش ؟.. تُرى أهى رسم قديم ؟.. أم رمز بدائىّ ؟.. أهى شعار ملكى ، أم شعار دينى ؟.. أم ..... ؟

بتر عبارته ، عند النقطة الأخيرة ، وهتف فى حِدَّة :

ـــ أم لغة قديمة .

اتسعت عيناه فى انفعال ، وهو يحدّق فى النقوش ..
نعم .. إنها كلمات ..
كلمات بدائية قديمة ..
كلمات بلغة تعود إلى بدء الخليقة ..
إلى ما قبل اللغة المِسْمارية(*) ..
إلى الأزل ..
وفجأة ، وبلا مقدمات ، بدت له تلك الكلمـــات معروفة ، مقروءة ..
ودون أن يشعر ، أحاط به ظلام دامس ..
ظلام مخيف ..
مرعب ..
وانطلقت من حوله ضحكة مخيفة ..
ضحكة لم يسمعها ..
ودون وعي ، وفى حالة أشبه بالغيبوبة ، أو بالتنويم المغناطيسى ، قرأ (يحيى) النقوش الشيطانية ..

(*) اللغة المسمارية : لغة قديمة ، يعدّها العلماء من أقدم لغات العالم ، هى واللغة السنسكريتية ، وفى المسمارية كانت كل الحروف والكلمات أشبه بمسامير متراصة ، ومن هنا جاء اسمها .

نطقها على نحو لا شبيه له ..
وانتفضت الدنيا ..
وانتفض هو ..
وارتجف كل شىء من حوله ..
ثم ظهر أمامه ذلك الشىء ..
كتلة من جحيم لا يوصف ..
ظلام ورُعب وآلام وكراهية ..
كل شرور الدنيا تجسَّدت فى كتلة واحدة ..
ثم تحوَّلت إلى شاب وسيم ..
شاب بالغ الوسامة والأناقة ..
شاب يبتسم ..
والتصق (يحيى) بالحائط فى رُعب ، وراح يحدّق فى وجه الشاب ..
وفى ابتسامته رأى الموت ..
وفى عينيه بدا الجحيم ..
وبصَوْت عميق مُخيف ، ولهجة أشبه بصدى الزَّمن ، قال الشاب :

كل شرور الدنيا تجسَّدت فى كتلة واحدة .. ثم تحوَّلت إلى شاب وسيم

ــ لقد عُدْت ..

ودوَّى قصف الرعد فى السماء ..

لقد عاد ..

عاد (ابن الشيطان) ..

* * *



٣ ــ الأجيال ..

تطلّع (نور) فى حَيْرة ، إلى ذلك الممرّ الممتد أمامه ، فى منزل جَدّه القديم ، فى ذلك الحىّ الشعبىّ من أحياء (القاهرة) القديمة ..

كان الممرّ مظلمًا ، مخيفًا ، ولكن كان عليه حتمًا أن يَعْبُره ..

لم يَدْرِ لماذا ، ولا ما الذى ينتظره فى نهايته ، ولكنه كان مُوقنًا ، لسبب ما ، من أن عبور ذلك الممرّ أمر حَتْمِىّ ..

وعَبَرَه (نور) ..

وخُيِّل إليه ــ وهو يَعْبُرُه ــ أنه يطير ، فلا يمسّ الأرض ..

أو أنه يسير فوق مخمل حريرىّ ناعم ..

وفى نهاية الممرّ ، رأى حجرة مغلقة ..

وفتحها ..

فتحها فى لهفة ، وكأنما ينتظره داخلها مجد الدنيا كله ..

وكانت الحجرة خالية ، إلّا من لوحة صغيرة فوق الجدار المواجه للباب ..

وبآليّة تامّة ..

وبقيادة عامل مجهول ، اتجه (نور) نحو اللّوحة ، ورفعها من مكانها ، والتقط من خلفها ورقة مطويّة ..

وفجأة ، دوّى ذلك الصوت ..

صوت هادئ ، عميق ، حنون ، قال :

ــ خُذها يا ولدى .

التفت (نور) إلى مصدر الصّوت فى دهشة ، وحدّق فى وجه صاحبه الكهل ، الذى استطرد فى عمق :

ــ خُذها يا ولدى .. ففيها خلاصك .

تراجع (نور) فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ ولكن هذا مستحيل !!.. مستحيل !!.. لا يمكنك أن تلتقى بى فى هذا العالم .

ابتسم الكهل ، وهو يقول فى حنان :

ــ لسنا فى عالمك الآن يا (نور) .. أنت وأنا الآن فى عالمِى .

هتف (نور) فى توتُّر :

ــ كلّا .. عالمك يختلف عن هذا العالَم .. عالمك أبدىّ ، وهذا مُؤَقَّت .

أجاب الكهل فى هدوء :

ــ هذا العالم فجوة بين عالمك وعالمى يا ولدى .. فجوة دائمة ..

هتف (نور) :

ــ ولكن هذا مستحيل .. مستحيل !!

سأله الكهل فى حنان :

ــ لماذا يا ولدى ؟.. لماذا ؟

اختنقت الكلمة فى حلق (نور) لحظات ، قبل أن يهتف بأقصى ما يملك من قوّة :

ــ لأنك ميّت يا جَدّى .. ميّت .. ميّت .. ميّت ..

شعر بيد تدفعه فى قوّة ، وسط الظلام الذى يحيط به ، ورأى جده ينظر إليه ويبتسم ، وسمع من يردّد اسمه من بعيد ، فواصل فى هياج :

ــ أنت ميّت .. ميّت ..

وفجأة ، دوّى اسمه فى أذنيه :

ــ (نور) .. (نور) .. استيقِظْ .

واستيقظ ..

كان كابوسًا عجيبًا ، استيقظ منه ، ليجد زوجته (سلوى) إلى جواره ، تتطلّع إليه فى قلق ، وهى تسأله فى حنان :

ــ ماذا هناك ؟ أهو كابوس ؟

تطلّع إليها لحظات فى حَيْرة ، ثم زفر فى عُمْق ، واعتدل جالسًا على طرف الفراش ، وغمغم فى توتُّر :

ــ نعم .. كابوس عجيب .. لقد رأيت نفسى فى منزل جَدّى القديم ، وقوّة مجهولة تدفعنى إلى حجرة مكتبه ، التى بدت لى خالية ، بخلاف المعتاد ، ورأيت جَدّى يدفعنى للحصول على ورقة مطوِيَّة ، تختفى خلف إطار صورة أنيقة ..

قاطعته هاتفة فى دهشة :

ــ رأيت جَدّك الرَّاحل ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وغمغم فى توتُّر :

ــ نعم .. رأيت جَدّى الرَّاحل .

ارتجفت فى خوف ، وغمغمت :

ــ (نور) .. ما الذى جعلك تتذكَّر جَدّك الرَّاحل الآن ؟

هزَّ رأسه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ـ لست أدرى .. لقد بدت لى صورته واضحة تمامًا ، كما بدت لى من قبل ، عندما كنّا نواجه حارس الأرواح المحتال (*) .

سرَت فى جسدها ارتجافة قويّة ، وهى تغمغم :

ـ يا إلهى !!

تطلّع إليها بنظرة خاوية ، لم تستشف منها شيئًا ، ثم نهض من فراشه ، ووقف أمام النافذة لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ أتعلمين يا (سلوى) ؟!.

غمغمت فى قلق :

ـ ماذا أعلم ؟

صمت لحظات قصارًا ، ثم قال :

ـ أظن ما رأيته لم يكن حلمًا .

جعلها قوله تنتفض خوفًا ، وهى تسأله فى خفوت :

ـ ما هو إذن ؟

التفت إليها ، وهو يقول فى حزم :

(*) راجع قصة (حارس الأرواح) .. المغامرة رقم (٣٣) .

ـ رسالة .

شحُب وجهها ، وهى تغمغم :

ـ رسالة من جدّك .

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. من روح جدّى .

ثم اعتدل ، وأضاف فى حزم :

ـ رسالة تطلب منّى الذهاب إلى هناك .. إلى منزله القديم .

ازدردت لُعابها فى صعوبة ، وغمغمت فى توتُّر :

ـ (نور) .. أنت تعلم أن أحدًا لم يذهب إلى منزل جدّك ، منذ ثلاثة أعوام على الأقل .. ثم إنه من غير المنطقىّ أن تؤمن بما تقول .. إنه مجرّد كابوس .

شرد ببصره لحظات ، قبل أن يقول فى عمق :

ـ هناك أشياء كثيرة ، لم أكن أومن بها من قبل يا (سلوى) ، ثم أثبتت لنا حياتنا المعقّدة أنها حقائق .

ازدردت لُعابها مرّة أخرى فى صعوبة ، قبل أن تسأله :

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟

التفت إليها ، وهو يقول فى حزم :

— سأذهب إلى هناك .

ثم عاد يتطلع من النافذة ، مردفًا :

— إلى حيث ترك لى جَدِّى رسالته ..

* * *

توقَّفت سيارة (نور) الصاروخية ، مع الضوء الأوَّل لشروق الشمس ، أمام منزل قديم من طابقين ، يبدو شديد التهالك والعراقة ، ببوَّابته المعدنية التى أكلها الصدأ ، وذلك الفناء الزِّرى ، الذى كان فيما مضى حديقة غنَّاء ..

وكان المنزل ينهض وحده ، على حَافة طَريق أسفلتى قديم ، دون أن تجاوره أيَّة منازل أخرى ، حتى أنه بدا لـ (سلوى) مخيفًا ، مع ظلال الشروق الممتدة ، فغمغمت فى توتُّر :

— لست أدرى لماذا أصررت على قُدومنا إلى هنا ، فى مثل هذا الوقت المبكِّر يا (نور) !!.. أما زلت تؤمن بقضايا الأرواح هذه ؟

سألها فى هدوء :

— أما زلت لا تؤمنين بها يا عزيزتى ؟

هزَّت كتفيها ، وزفرت فى قوَّة ، وهى تتبعه إلى خارج السيَّارة مستسلمة ، ثم تلتصق به فى خوف ، وهما يتجهان إلى المنزل القديم ..

وارتجف جسدها الضئيل ، وسَرَت فى أوصالها ارتجافة قويَّة ، مع ذلك الصَّرير المخيف ، الذى انبعث من مُفَصَّلات الباب القديم ، وعادت تغمغم فى مزيد من التوتُّر :

— يا له من إصرار ؟

أضاء (نور) رَدْهَة المنزل ، وقادها نحو ذلك السُّلَّم ، الذى يصعد إلى الطابق العلوىّ ، وهو يقول فى هدوء :

— لن يستغرق الأمر طويلًا يا عزيزتى .. سنحصل على تلك الورقة ، ونعود أدراجنا على الفور .

غمغمت فى حَنَق :

— أتعشَّم ذلك .

صعدا معًا إلى الطابق العلوىّ ، وأشار (نور) إلى الممرّ الممتد أمامه ، قائلًا فى انفعال واضح :

— ها هو ذا الممرّ .. سنجد الحجرة المنشودة فى نهايته ، كما جاء فى الحُلْم .

تمتمت فى حِدَّة :

— هُرَاء .

تابعا سيرهما عَبْرَ الممرّ المظلم ، حتى بلغا الحجرة ، فدفع (نور) بابها ، وهو يقول :

ـ المفروض أن نجدها خالية ، إلا من لوحة واحدة ، على الجدار المقابل .

ولكن الباب لم يُفتح ، على الرغم من قوّة دفع (نور) ، فتراجع خطوة إلى الخلف ، وقال لـ(سلوى) فى حزم :

ـ لاتجزعى .

ودفع كتفه فى منتصف الباب بكل قواه ، فانفتح فى عنف ، وارتطم بالحائط المثبَّت فيه ، على حين شهقت (سلوى) فى دهشة ، وهى تهتف :

ـ يا إلٰهى !!.. الحُلْم ؟!

وقف (نور) مبهُورًا مشدوهًا ، يحدِّق فى الحجرة الخالية العارية ، إلَّا من تلك اللَّوحة ، المعلَّقة على الجدار المواجه تمامًا ، وأدهشه فى شدَّة أن تلك الحجرة كانت نظيفة إلى حدّ ملفت للنظر ، لاأثر فيها لذرَّة غُبار واحدة ، على الرغم من أكوام الغبار ، التى تغطِّى كل ركن آخر فى المنزل ..

وهتفت (سلوى) فى توتُّر :

ـ كيف بقيت تلك الحجرة هكذا ؟

أشار (نور) إلى النوافذ المغلقة فى إحكام ، وغمغم :

ـ يبدو أن هذا يعود إلى إحكام إغلاقها ، أو .....

لم يجد تفسيرًا آخر ، فاكتفى بهذا القول ، وتعلَّق بصره بركن محترق ، فى نفس اللحظة ، التى هتفت فيها (سلوى) :

ـ ماذا أصاب ذلك الركن ؟

اقترب (نور) منه ، وتحسَّسه فى اهتمام ، ثم تطلَّع إلى أصابعه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ـ لقد احترق لسبب ما .. أو بسبب ما .

ثم أدار عينيه إلى اللوحة فى حركة حادَّة ، مستطردًا :

ـ أو هى الرسالة .

لم تفهم (سلوى) ما يَعْنيه ..

ولم تسأله عنه ..

الواقع أنه لم يمنحها الوقت لذلك ، لقد أسرع نحو اللَّوحة ، وأزاح إطارها فى حركة حادَّة ، فسقطت من خلفه ورقة مطويَّة ، أسرع (نور) يلتقطها فى انفعال ، ثم أدار عينيه إلى (سلوى) ، التى وقفت شاحبة ممتقعة ، وهتف فى انفعال شديد :

ـ أمازلت لاتؤمنين يا (سلوى) ؟

تمتمت فى خوف :

فسقطت من خلفه ورقة مطويَّة ، أسرع (نور) يلتقطها فى انفعال

ـ إنما هو حُلْم .

هتف فى ثقة :

ـ بل رسالة .. رسالة من عالَم الأرواح ..

وأدار عينيه فيما حوله ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ـ رسالة عَبْرَ الأجيال ..

* * *



٤ ــ الرِّسالة ..

تنهَّدت (سلوى) فى ارتياح ، وهى تُعِدّ لزوجها (نور) قدحًا من الشاى ، فى مطبخ منزلهما ، وراحت تتطلَّع إلى الجدران النظيفة المألوفة فى سعادة وامتنان ، وكأنما كانت تتصوَّر أنهما لن يعودا إلى منزلهما أبدًا ..

وعندما حملت القدح إلى (نور) ، استوقفها مظهره ، وهو يغوص فى مقعد هوائى وثير ، محدِّقًا فى ذلك القرص ذى النقوش العجيبة ، المرسوم وسط الورقة ، وأسفله تلك العبارة الغامضة : « النار وحدها تغسل الشرور » ..

ولم تكد تضع القدح أمامه ، حتى رفع (نور) عينيه إليها ، وغمغم فى شرود :

ــ شكرًا .

هزَّت رأسها تفهُّمًا ، وجلست أمامه ، وهى تغمغم فى قلق :

ــ إنه مجرَّد نقش .. أليس كذلك ؟

هزَّ كتفيه فى حَيْرة ، وعاد يتطلَّع إلى رسم القرص ، متمتمًا :

ــ ربَّما .

ثم اعتدل فى مجلسه ، وعقد حاجبيه فى اهتمام ، وهو يستطرد :

ــ ولكن ما الذى تعنيه تلك النقوش ؟

تنهَّدت فى عمق ، وألقت نظرة سريعة على تلك النقوش ، التى تثير فى أعماقها قُشَعْرِيرَة مُبْهمة ، ثم أشاحت بوجهها ، وهى تجيب :

ــ لستُ أدرى .. لعلها رمْزٌ لديانة بائدة ، أو شعار لإمبراطورية قديمة ، أو .....

قاطعها مكملًا :

ــ أو لُغة .

تطلَّعت إليه فى دهشة ، وهى تغمغم :

ــ لُغة ؟!.. أى استنتاج هذا ؟

هزَّ كتفيه ، وهو يقول :

ــ إنه مجرَّد افتراض .

وجدت نفسها مشدودة إلى النقش ، وهى تغمغم فى قلق :

ـــ لغة ؟!

ثم رفعت عينيها إلى (نور) ، مستطردة فى توتُّر :

ـــ أتريد رأيى ؟

أجابها فى هدوء وجِدّيَّة :

ـــ بالتأكيد .

لوَّحت بكفِّها ، هاتفة :

ألقِ هذا الرسم بعيدًا .. أحرق الورقة كلها ، ودَعنا نعِش فى سلام .

هتف فى استنكار :

ـــ أحرقها ؟!

ثم لوَّح بالورقة فى وجهها ، مستطردًا :

ـــ إنها ليست مجرَّد ورقة يا (سلوى) .. إنها رسالة بالغة الأهمية ، قد تكون فيها نجاتنا من خطر قادم .

صاحت فى حِدَّة :

ـــ أى خطر ؟!.. إن هذا مجرَّد حُلم يا (نور) .. لن تقنعنى أبدًا بأنها رسالة من عالم الأرواح .

سألها فى هدوء :

ـــ ولكننا وجدنا الرسالة فى نفس المكان .. أليس كذلكَ ؟

هبَّت واقفة ، وهى تهتف :

ـــ ربَّما رأيت جدَّك يضعها هناك ، وأنت بعدُ طفل صغير ، وانطبع ذلك فى عقلك الباطن .

مطَّ شفتيه ، قائلًا :

ـــ ربما ، ولكن لماذا أتذكَّرها الآن ؟.. أتعلمين متى تُوُفِّىَ جَدِّى ، (رحمه الله) ؟

صاحت متوتِّرة :

ـــ ربَّما استثار شىء ما عقلك .. مشهد مشابه، أو قول.. أو فعل .

هزَّ كتفيه ، مغمغمًا :

ـــ ربَّما .

ثم نهض ، مستطردًا فى حزم :

ـــ ولكن الأمر يحتاج إلى استشارة شخص أكثر خبرة ، وأكثر اهتمامًا بالظواهر الخارقة ، وفوق الطبيعية .

هتفت فى توتُّر :

ـــ إلى أين ؟.. ألن تتناول الشاى ؟

أجابها فى حزم :

ـــ فيما بعد يا عزيزى .. فيما بعد .. أمّا الآن ، فسأذهب إلى ذلك الخبير .

واتجه نحو الباب ، وهو يستطرد فى حسم :

ـــ إلى الدكتور (محمد حجازى) ..

* * *

قفز الصحفىّ الشابّ (صفوت) درجات السُّلَّم القصيرة ، فى مدخل الفندق الفاخر ، فى قلب (القاهرة) ، وعَبَرَ بابه البلّورىّ فى خطوات حماسية رشيقة ، وتوقَّف أمام مائدة زجاجية مستديرة ، فى مدخل الفندق ، وابتسم ابتسامة صفراء ، فى وجه الجالس أمامها ، وهو يقول :

ـــ صباح الخير يا (مراد) بك .

غمغم الرجل فى هدوء :

ـــ صباح الخير يا أستاذ (صفوت) .

جلس (صفوت) على المائدة فى حسم ، وأخرج من جيبه مكعَّبًا صغيرًا ، ضغط طرفيه ، وهو يقول فى تخابث :

ـــ مَعْذِرَةً .. إننى أكره وسائل التصنُّت .

غمغم (مراد) فى هدوء :

ـــ لا بأس .

مال (صفوت) نحوه ، وقال فى مَرَح ساخر :

ـــ قُلْ لى .. هل أحضرت المبلغ ؟

أشار (مراد) إلى حقيبة مجاورة ، وهو يقول :

ـــ كله .. ولكن ينبغى أن تُوقف تلك الحملة الصحفية على الفور .

هتف (صفوت) فى مرح :

ـــ بالطبع ..

حمل (مراد) الحقيبة ، وناولها لـ(صفوت) ، قائلًا فى حزم :

ـــ خُذْ .. مليون جنيه .. كلها لك .

تألَّقت عينا (صفوت) فى جشعٍ واضح ، واحتضن الحقيبة فى لهفة ، وهو يهتف :

ـــ ستتوقَّف الحملة على الفور ، و .....

قاطعه صوت صارم يقول :

ـــ وماذا أيها الحقير ؟

امتقع وجه (صفوت) ، والتفت إلى مصدر الصوت فى حِدَّة ، فرأى أمامه رجل شرطة ، يصحبه عدد من محرِّرى جريدة (أنباء الفيديو) ، وعلى رأسهم (مشيرة محفوظ) ، التى هتفت فى ازدراء :

ـــ يالَكَ من حقير !! المرتشون أمثالك لا يستحقون العمل فى مجال شريف كالصَّحافة .

امتقع وجه (صفوت) فى شدَّة ، وهو يقول :

ـــ أى مُرْتَشِين ؟.. لقد كنت أخدعه ، لأثبت أنه غير أمين ، و .....

قاطعه فى حِدَّة :

ـــ وماذا ؟.. لا فائدة من الكذب أيها الحقير .. لقد سجَّلنا كل شىء بالصوت والصورة .

هتف فى حِدَّة :

ـــ مستحيل !.. ذلك المكعَّب ..

تنبه فجأة إلى أن اعتراضه سيحوى اعترافًا ضمنيًا بجرمه ، فأطبق شفتيه دفعة واحدة ، على حين أكملت (مشيرة) فى غضب :

ـــ إنه يحيطك بمجال كهرومغناطيسى خفىّ .. أليس كذلك ؟.. إننا نعلم ذلك أيها الوغد .. وكنَّا نتوقَّع أن تلجأ إليه ؛ لذا فقد زوَّدنا المائدة بمجال عكسىّ ، وبهذه الوسيلة التقطنا لك فيلمًا كاملًا ، بإذن النيابة ، يثبت جُرمك ، وسَيَعْنى هذا فصلك من الجريدة .

انكمش فى مقعده فى توتُّر ، على حين أضاف رجل الشرطة فى صرامة :

ـــ والسجن لخمس سنوات على الأقل ، بتهمة تقاضى رشوة ، و .....

قبل أن يتمَّ عبارته ، قفز (صفوت) من مقعده صارخًا :

ـــ كلَّا .. لن يحدث هذا أبدًا .

وفجأة ، هَوَى على فكِّ رجل الشرطة بِلَكْمَة قويَّة ، أزاحت الرجل بعيدًا ، ودفع أحد رفاق جريدته عن طريقه ، صارخًا :

ـــ اتركونى .

ثم اندفع نحو باب الفندق البلَّورىّ ، وقفز محطِّمًا واجهته السميكة ، ومتجاوزًا إيَّاها إلى الخارج ، وسط صراخ روَّاد الفندق ، وانطلق يعدُو مبتعدًا ، ورجل الشرطة يهتف من خلفه :

ـــ أمسكوا هذا الرجل .. أوقفوه .

ولكن (صفوت) عَبَرَ الحاجز القصير ، الذى يفصله عن الطريق ، وانطلق مبتعدًا ، وانحرف فى طريق جانبىّ ، وهو يلهث فى خوف وتعب وتوتُّر ..

وفجأة ، تسمَّرت قدماه ، وخفق قلبه فى قوّة وتوتُّر ..

لقد وجد أمامه فجأة شابًا وسيمًا ..

وكان الشاب أنيقاً ، جميل المحيّا ، ولكن شيئًا ما فى هيئته ، أثار رُعب (صفوت) وتوتُّره ..

ومضت لحظات صامتة تمامًا ، و (صفوت) يحدِّق فى عينى الشاب الناريَّتين فى رُعب .. قبل أن يغمغم فى صوت مختنق ، تجاوَزَ حلقه فى صعوبة بالغة :

ـــ ابتعد .. ابتعد عن طريقى .

سأله الشاب فى صوت هادئ ، أثار فى نفسه رُعبًا لاحُدود له :

ـــ إلى أين ؟

ارتجف فى شِدّة ، وبات على شفا لحظة واحدة ، من الانفجار ببكاء حارّ ، وهو يتمتم :

ـــ لابدّ أن .. لابدّ أن .....

لم يستطع إتمام عبارته أبدًا ..

كانت عينا الشاب الناريَّتان تتسلّلان إلى أعمق أعماقه ، وتحطِّمان إرادته تحطيمًا ..

وبصوت بدا وكأنه يأتى من أعمق أعماق الجحيم ، تحدَّث الشاب ..

وفى هدوء مثير مخيف ، قال :

ـــ إنك لن تذهب إلى أى مكان .. لن تذهب .

لحظتها أيقن (صفوت) ـــ دون أن يدرى سببًا لذلك ـــ أنه لن يذهب حقًّا ..

لن يذهب أبدًا ..

* * *

استقبل الدكتور (حجازى) (نور) بابتسامة واسعة ، وربَّت على كفِّه فى حرارة ، وهو يقول :

ـــ مرحبًا يا (نور) .. مرحبًا ياوَلَدِى .. كم يُسعدنى دوْمًا أن أراك ، وأن أجالسك .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـــ أنا أيضًا يُسعدنى دوْمًا أن أراك وأن أجالسك ياسيِّدى .

مضت بضع دقائق ، وهما يتبادلان التحية والحديث الحار ، قبل أن يعتدل الدكتور (حجازى) فى مجلسه ، ويقول :

ـــ والآن يا (نور) ، ما الذى دفعك لزيارتى ، فى مثل هذا الوقت ؟

ابتسم (نور) فى خجل ، وقال :

ـــ الواقع هو أننى ، إلى جوار رغبتى فى مجالستك ، أحتاج إلى خبرتك الواسعة ، وتعمُّقك فى دراسات ما فوق الطبيعيات يا دكتور (حجازى) .

بدا وكأن هذا قد جذب انتباه الدكتور (حجازى) فى شِدَّة ، فلقد عقد حاجبيه ، وانتبه فى مجلسه ، وهو يقول فى انتباه بالغ :

ـــ لماذا يا (نور) ؟

قصَّ عليه (نور) القصة كلها ، منذ راوده ذلك الحُلْم فى منامه ، وحتى عثوره على الرسم ، فازداد انعقاد حاجبى الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

ـــ قصة عجيبة حقًّا يا (نور) ، ولكنَّ جدَّك (رحمه الله) كان رجلًا صالحًا مؤمنًا ، إلى الحدِّ الذى يجعلنى أميل إلى تصديق رسالته الرُّوحية لك ، وإلى أهميتها وخطورتها بلا شكٍّ .

ثم مدَّ يده إلى (نور) ، مستطردًا :

ـــ هل لى أن أرى ذلك النقش ؟

أجابه (نور) فى حماس ، وهو يُخرج الرسم من جيبه :

ـــ بالطبع .

تناول الدكتور (حجازى) الورقة المطويَّة ، وفضّها فى سرعة واهتمام ، ولم يكد يلقى نظرة على الرسم ، حتى خُيِّل لـ(نور) أن حاجبى الطبيب الشرعىّ الأشهر سيقفزان إلى السقف ، وأن عينيه ستفرَّان من محجريهما ، من شدة جحوظهما ، وأن رأسه كلها قد وثبت بغتة إلى الأمام ، وكادت ترتطم بالرسم ، فهتف فى توتُّر وانفعال :

ـــ ماذا حدث ؟

حدَّق الدكتور (حجازى) فى وجهه لحظة ، بملامح أقرب إلى الرُّعب ، ثم اعتدل فى مجلسه ، وتمتم فى توتُّر :

ـــ يا إلهى !

عاد (نور) يكرِّر سؤاله فى مزيد من الانفعال :

ـــ ماذا حدث يا دكتور (حجازى) ؟

لم يجب الدكتور (حجازى) على الفور ، وإنما تراجع فى مقعده ، وهو يحدِّق فى وجه (نور) ، قبل أن يزفر فى عمق ، ويلتقط نفسًا عميقًا ، ويقول :

— هل تعلم يا (نور) ؟.. لقد انتهيت ، قبيل لحظات من وصولك ، من فحص جثة قتيل شاب .

سأله (نور) فى دهشة :

— وما شأن هذا بالنقش ؟

واصل الدكتور (حجازى) ، وكأنما لم يسمع السؤال :

— وهذا القتيل قد انتحر ، كما أكّدت فحوص وتحرّيات الشرطة ، فقد وجدته خطيبته مشنوقًا فى منزله ، الذى يقيم فيه وحيدًا ، وكانت كل النوافذ مغلقة من الداخل ، بأقفال إليكترونية ، والباب كذلك ، مما يؤكّد استحالة أن يغادر قاتله المنزل ، لو أنه مات قتيلًا ، ولكن العجيب فى الأمر هو أن ذلك القتيل الشاب مهندس ناجح ، انتهى فى اليوم السابق لانتحاره ، من إعداد موقع جديد ، من مواقع البحث عن البترول ، وكان يتوقّع ترقية ، أو مكافأة سخيّة ، وكان يمرُّ بحالة تفاهم تام مع أسرته ، وخطيبته ، وشديد المرح ، و .....

صمت لحظة ، وكأنما لم يجد داعيًا للاستطراد ، ثم لم يلبث أن أردف فى توتّر :

— باختصار ، لم يكن هناك سبب واحد للانتحار .

استمع إليه (نور) ، حتى انتهى من روايته ، ثم غمغم فى حيْرة :

— وما صلة ذلك بالنقش ؟

التفت إليه الدكتور (حجازى) بحركة حادّة ، وهو يقول :

— صلة وثيقة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى توتّر بالغ :

— لقد كان هناك نقش محفور على صدر المهندس (يحيى) المنتحر .

وأدار الورقة فى حِدّة ، ليواجه النقش وجه (نور) ، متابعًا فى عصبيّة :

— هذا النقش تمامًا ..

* * *



٥ ـــ الخـــوف ..

اندفع الصحفىّ (صفوت) داخل منزله ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم التفت إلى ذلك الشابّ الوسيم ، الذى جلس هادئًا ، يبتسم ابتسامة مخيفة ، وهتف بلهجة رجل مَبْهُور :

ـــ لقد كنت على حقّ .. كنت على حقٍّ تمامًا .. كل شىء سار كما أخبرتنى .. وعلى نحو أصاب الجميع بالذُّهول .

اكتفـى الشابّ بابتسامتـه الواثقـة ، على حين راح (صفوت) يلوّح بذراعيه فى الهواء ، مستطردًا فى انفعال :

ـــ لقد عُدت إليهم كما أمرتنى ، وتظاهرت بالدّهشة ، وهم يتّهموننى بتقاضى رشوة ، ولمّا عرضوا ذلك الفيلم الهولوجرافى ، الذى يديننى ، أصابهم ذُهُول شديد ، فقد كان المشهد عاديًا ، إلّا من تفصيل واحد .. أنا .. لم تكن صورتى هناك على الإطلاق ، كأنما كنت رجلًا خفيًا .. حتى الصوت امّحى تمامًا ، وكأن لم يكن .. وعندما التقطوا البَصَمات ،

ورفعوا توزيع المسامّ عن المائدة ، كانت مختلفة عن بَصَماتى وتوزيع مسامّى العَرَقِيّة تمامًا ..

غمغم الشابّ فى هدوء :

ـــ بالطبع .

اقترب منه (صفوت) ، وكاد يجثُوا على ركبتيه أمامه ، وهو يهتف فى خوف :

ـــ ولكن كيف فعلت ذلك ؟.. لقد تجاوزت حتى تكنولوچيا القرن الحادى والعشرين المتطوّرة .

برقت عينا الشابّ ببريق مخيف ، جمّد الدّمَ فى عروق (صفوت) ، قبل أن يقول فى لهجة مُرْعِبَة :

ـــ ما من تكنولوچيا تفُوق قُدراتى .. أنا وَحْدِى أفُوق كلّ العُصُور .

ارتجف (صفوت) من قمّة رأسه ، حتى أخمص قدمَيْه ، وهو يغمغم :

ـــ ولكن من أنت ؟.. من ؟.

خُيِّل إليه أنّ جُدران منزله قد ارتجفت ، وارتعدت ، وأن قلبه قد انتفض بين ضلوعه فى رُعْب هائل ، حينما أجاب ذلك الجالس أمامه ، فى صوت بدا وكأنه يأتى من أعمق أعماق الأرض :



اقترب منه (صفوت) ، وكاد يجثو على ركبتيه ، أمامه ، وهو يهتف فى خوف

ـ فلتنادِنى باسم (بعلزبول) .. (بعلزبول الصغير) .

امتقع وجه (صفوت) ، وتراجع فى رُعْب هائل ، حتى التصق بالجدار ، وهو يردِّد فى هلَع :

ـ ولكن اسم (بعلزبول) هذا يَعْنِى .. يَعْنِى .....

قاطعه الشاب فى صوت كالموت :

ـ يَعْنِى الشيطان .. نعم .. أنا ابنه .. (ابن الشيطان) ..

* * *

سَرَتْ قُشَعْرِيرَة باردة وغامضة ومُخِيفة ، فى جسد (نور) ، وهو يتحسَّس ذلك النقش البارز ، على صدر جثة المهندس (يحيى) ، وارتجفت أصابعه ، على الرغم منه ، وهو يقارنه بذلك المرسوم على تلك الورقة ، التى وجدها فى منزل جدِّه ، ثم لم يلبث أن غمغم فى انفعال بالغ :

ـ عجبًا !!

كان من حقِّه أن يشعر بدهشة بالغة ، فلقد كان النقشان مُنطَبِقَيْن تمامًا ، حتى فى مساحتهما ، كما لو أن خاتمًا واحدًا صنعهما معًا ..

وفى توتُّر ، سأل (نور) الدكتور (حجازى) :

ـ كيف حدث ذلك النقش على صدره ؟

هزَّ الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال :

ــ إنه شىء عجيب حقًّا ، فدراستى للأنسجة تؤكِّد أنَّ عمر هذا النقش لا يزيد على يوم واحد ، على حين يبدو ظاهريًّا وكأنه قد انحفر على الجلد منذ مولد هذا الرجل ، وهذا التناقض يَعْنى أن النقش قد وضع هنا بضغط هائل ، من العجيب أن تحمله الضلوع ، وتبقى سليمة .

سأله (نور) فى دهشة :

ــ ماذا يَعْنى هذا ؟

عاد الدكتور (حجازى) يهزُّ رأسه ، قائلًا :

ــ يَعْنى أننا لا نواجه أمرًا علميًّا يا (نور) ، بل أفعالًا شيطانية عجيبة .

وصمت لحظة ، ثم ارتجف صوته ، وهو يستطرد :

ــ والحقُّ أننى أشعر بخوف مُبْهَم .. خوف شديد .

ردَّد (نور) مَشْدُوهًا :

ــ خوف ؟!

كان ما يقلقه ، فى هذه المرَّة ، هو أنه أيضًا يشعر بالخوف ..

خوف مُبهم عجيب ..

أو أنه كان يشعر بالخطر ..

كان هناك شعور عجيب يَسْرِى فى عُروقه ، منذ وقع بصره على ذلك النقش لأوَّل مرَّة ..

شعور يشبه ذلك الذى ينتابه ، كلما كان مُقْدِمًا على مخاطرة شديدة ، أو على مهمَّة جديدة ..

ومن العجيب أن ذلك النقش كان يبدو له أحيانًا مفهومًا ، مألوفًا ، على الرغم من ثقته الشديدة فى أنه لم يَرَهُ مرَّة واحدة ، فى حياته كلها ..

ولكنه حتمًا مُقْدِم على معركة ..

معركة شيطانية ..

* * *

التصق (صفوت) بالجدار فى رُعب هائل ، وهو يحدِّق فى وجه (بعلزبول الصغير) ، الجالس أمامه ، وراح قلبه يَنْبِض فى سرعة مخيفة ، وهو يردِّد فى ارتياع وهَلَع :

ــ (ابن الشيطان) ؟!.. أنت ابنه ؟!.. ابنه ؟!

صاح به (بعلزبول) فى صوت هادر مخيف :

ــ اصمت .

انتفض جسد (صفوت) كله ، وتهاوَى أرضًا ، ورأى

(ابن الشيطان) ينهض واقفًا ، وقد بدا له أشبه بمارد هائل ، وهو يقول بلهجته المخيفة :

ــ اصمت أيها البشريُّ الأحمق .. كيف ترتعد هكذا ، بعد أن أنقذتك من سقطتك ؟.. ألم تفهم بعدُ أيُّها الغبيُّ ؟

ارتعد (صفوت) وهو يقول فى أمل :

ــ لقد فهمت .. فهمت يا سيِّدى .. إننا صديقان .. أليس كذلك ؟

صرخ (ابن الشيطان) فى غضب واستنكار :

ــ صــديقان ؟!.. أىُّ هُـــراء هذا أيُّهـــا البشريُّ .. (لوسيفر الابن) ليس له أصدقاء .. ما من بشرىّ يرتفع إلى مستوى صداقته .

التصق (صفوت) بالأرض ، وانكمش فيها ، ووَدَّ لو أنها قد انشقَّت وابتلعته فى هذه اللحظة ، من فَرْط رُعْبه ، وخاصَّةً حينما أشار إليه (ابن الشيطان) ، مستطردًا فى قوَّة وحزم :

ــ إنما أنت تابعى .

تجمَّدت الدماء فى عروق (صفوت) ، وهو يقول فى هَلَع :

ــ تابعك ؟!

لوَّح (بعلزبول) بذراعيه فى عظمة ، وهو يقول :

ــ نعم .. تابعى .. كل العظماء لهم أتباع .

ثم أدار نحوه عينيه الناريَّتين ، مستطردًا :

ــ كما أننى أحتاج حتمًا إلى تابع بشرىّ .

غمغم (صفوت) فى رُعْب :

ــ أنت ؟!.. أنت تحتاج إلى تابع ؟!

قال (ابن الشيطان) فى صرامة :

ــ اصمت .

ثم اعتدل ، مستطردًا ، وكأنه يسترجع تاريخًا قديمًا :

ــ لقد خسرت عدة معارك مع بنى البشر ، عَبْرَ تاريخكم الطويل ، لمجرَّد أننى كنت أقاتل وحدى ، دون معاون بشرىّ .

غمغم (صفوت) فى ذُهُول :

ــ عَبْرَ تاريخنا ؟!

ابتسم (بعلزبول) فى سُخرية ، وهو يقول :

ــ بالطبع أيُّها البشرىّ الأحمق .. ألم تقرأ تاريخكم ؟!.. ألم تقرأ عن (ست) ؟!

اتسعت عينا (صفوت) فى مزيد من الذُّهول ، وهو يهتف :

ـ أنت ؟!.. أنت كنت (ست) ، إله الشرّ (*) .

أطلق (بعلزبول) ضحكة مخيفة ، بدا وكأنها تأتى من أعمق أعماق الجحيم ، قبل أن يقول :

ـ بالطبع .. كنت أنا هو ، وغيره .. وغيره .. كنت رمز الشرّ فى كل العصور والأساطير .

قالها وعاد يضحك ملء فيه ، على نحو جعل (صفوت) يزداد رُعبًا وانكماشا وهلَعًا ، وقد بدت له الجدران كلها ترتجف على صدى الضحكات ، قبل أن يتوقّف (بعلزبول) بغتة ، وتبرق عيناه ببريق نارىّ مخيف ، وهو يقول فى حِدّة وكراهية :

(*) تتحدّث القصص والأساطير المصريّة القديمة عن أسطورة (إيزيس) و (أوزيريس) ، وشقيقهما (ست) ، عندما أراد (ست) أن يزيح (أوزيريس) عن طريقه ، فخدعه فى أثناء حفل خاصّ ، وأقنعه بأن يرقد داخل تابوت خاصّ ، ثم أغلق التابوت عليه ، وألقاه فى النيل ، وراحت (إيزيس) تبحث عن زوجها طيلة عمرها ، حتى عثرت عليه ، وأعادت إليه ملكه ، بعد أن هزم (ست) ، ومنذ ذلك الحين أصبحت (إيزيس) إلهة الزراعة والخصوبة ، وأصبح (أوزيريس) إله الموتى ، على حين صار (ست) دوْمًا إله الشرّ ، ورمزًا للشيطان .

ـ ولكن كان هناك دوْمًا رمز للخير .

قالها فى بُغض هائل ، ثم اعتدل ، ليبدو مرّة أخرى كالمارد ، قبل أن يستطرد فى غضب :

ـ منذ عهد (أوزيريس) ، راح كل نسله يطاردنى عَبْرَ العُصور .. كل من يحملون دماءه أعداء لى ، ولقد تقاتلنا عَبْرَ الأجيال ، وتصارعنا بكل ما فى الكون من صلابة وشراسة وعناد .

وصمت لحظة ، ثم تقاطر مزيج من البُغض والمرارة مع كلماته ، وهو يُرْدِف :

ـ وفى كل مرّة كانوا ينتصرون .

صمت لحظة أخرى ، وكأنه يحاول أن يبتلع مرارته ، قبل أن يتابع فى غضب :

ـ ومع عودتى هذه المرّة ، قرّرت أن أضع حدًّا للصراع إلى الأبد .

وتحوّل صوته إلى صرخة هادرة مُرْعبة ، وهو يكرّر :

ـ إلى الأبد .

كاد (صفوت) يبكى ، وهو يقول :

ـ أوامرك يا سيّدى .

أشار إليه (ابن الشيطان) بكفِّه فى ازدراء ، وقال :

ـ كلَّا .. دورك لم يَحِنْ بَعْد .

ثم عادت عيناه تبرقان فى غضب شيطانىّ ، وهو يستطرد :

ـ لقد بَقِىَ اثنان فى هذا العالم أجمع ، يحملان دم (أوزيريس) ، أحدهما صار كهلًا ، لا خوف منه ، والآخر شابٌّ ، يحمل مع عمره الخطر .. كل الخطر .

غمغم (صفوت) فى خوف :

ـ هل أقتلهما ؟

ابتسم (ابن الشيطان) فى سُخرية ، وهو يقول :

ـ تقتلهما ؟!.. يالك من مغرور !

ثم ضمَّ قبضته أمام وجهه ، مستطردًا فى صرامة وغضب :

ـ إنهما لى .

ثم أشار إلى لامكان ، مردفًا فى حِدَّة :

ـ وسأبدأ بأقواهما .

وبرقت عيناه كجمرتين من نار ، وهو يتابع :

ـ سأبدأ بالرائد (نور الدين) .. آخر نسل (أوزيريس) ..

* * *

٦ ـ الآن .. بدأ الصِّراع ..

أطلقت (نشوى) صيْحة مَرَح ، وهى تعبُر باب حديقة المنزلْ بسيَّارتها الصغيرة ، عند عودتها من عملها بمركز الكمبيوتر الرئيسىّ ، وأوقفت السيَّارة وسط أحْواض الزُّهور ، ثم قفزت منها فى رشاقة ، واندفعت نحو أُمِّها ، التى تقف أمام باب المنزل ، واحتضنتها هاتفة فى مَرَح :

ـ أُمَّاه .. كم أوحشتنى !!

ابتسمت (سلوى) فى حنان ، وربَّتت على كتف ابنتها ، وقالت :

ـ أنت أوحشتنى أكثر يا (نشوى) ، ولكن كُفِّى عن مخاطبتى بلقب أُمِّى ؛ بهذا الصوت المرتفع ، فهذا يجعلنى أبدو عجوزًا .

ضحكت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ أنت على حقّ ، فلقد تضاعف عمرى بغتة ، بسبب ذلك العقَّار العجيب ، الذى تناولته مرغمة ، فى أعماق

المحيط الأطلنطى[*] . حتى أننا نبدو أنا وأنت كشقيقتين .

ضحكت (سلوى) بدورِها ، وهى تقول :

— إننى أفضّل هذا .

ثم عادت تسألها فى جِدِّيَّة :

— ولكن ما الذى يَعْنيه كل هذا المَرَح ، هل قمت بزيارة خطيبك (رمزى) ، قبل أن تأتى إلى هنا ؟

ضحكت (نشوى) فى حياء ، وهى تقول :

— من الواضح أن أبى قد نجح فى تدريبك على فنّ الاستنتاج .. نعم .. لقد زرت (رمزى) .

سألتها (سلوى) مبتسمة :

— كيف حاله ؟

أجابتها فى مَرَح :

— فى خير حال .. لقد عُوفِىَ تمامًا تقريبًا ، بعد إصابته السابقة ، فى أثناء قتالنا مع تلك الشياطين الصغيرة[**] .

اتسعت ابتسامة (سلوى) ، وهى تقول :

(*) راجع قصة (سادة الأعماق) .. المغامرة رقم (٦٢) .

(**) راجع قصة (الستار الأسود) .. المغامرة رقم (٧٠)

— كم يُسعدنى هذا !!

سألتها (نشوى) ، وهى تندفع داخل المنزل :

— أين أبى ؟

أجابتها (سلوى) ، وهى تتجه معها إلى المطبخ :

— إنه فى زيارة للدكتور (حجازى) ، وسيعود بعد قليل .

قالت (نشوى) ضاحكة :

— أراهنك أنه قد ذهب إليه لسبب ما ، فأبى ليس اجتماعيًا ، فيما لا يخصّ العمل .

رمقتها (سلوى) بنظرة عِتاب ، وهى تقول :

— والدك رجل عظيم يا (نشوى) ، ولو أنه ليس اجتماعيًا ، فهذا يعود إلى أن عمله يلتهم جُلَّ وقته ، و .....

قاطعتها (نشوى) فى مرح :

— حسنًا يا أُمَّاه .. حسنًا .. إننى لم أكن أقصد ذلك ، ولكننى جائعة للغاية ، وأتمنَّى أن يعود أبى سريعًا ؛ لنتناول الطعام معًا .

قالت هذا ، وهى تندفع نحو صنبور المياه ، وتلتقط كوبًا ، ثم تفتح الصُّنْبُور ..

وفجأة ، اتسعت عيناها فى رُعب ، وتراجعت كالمَصعُوقة ، وصرخت فى ذُعر :

ـ أُمّاه !

التفتت إليها (سلوى) فى حِدّة ، ولم تكد تنظر إلى ما تنظر إليه ابنتها ، حتى اتسعت عيناها فى رُعب مشابه ، وهى تهتف :

ـ ربّاه !!

فأمام عينيها كان الصنّبور المفتوح لا يُلقِى الماء ..

بل الدّم ..

الدّم فقط ..

* * *

مضت لحظات من الصّمت والذّهول ، و (سلوى) و (نشوى) تحدّقان فى ذلك الدّم ، الذى ملأ حَوْض المطبخ بلونه الأحمر القانى ، قبل أن تغمغم (نشوى) فى رُعب :

ـ ما هذا ؟

أجابتها (سلوى) فى صوت مُرْتجف :

ـ لست أدرى .

ثم أضافت فى توتُّر :

ـ ولكنه ليس دمًا بالتأكيد .. لعلّه نوع من الطَّمْي ، تسرّب إلى مواسير المياه ، أو .....

لم يَبْدُ حديثها منطقيًا ، حتى بالنسبة إليها ، فلقد كانت تعلم أنّ أسلوب توزيع المياه الحديث ، لا يسمح بتسرُّب ذرّة واحدة من الشوائب إلى المياه ، فكيف بتلك الكمية المخيفة من الطَّمْي الأحمر ..

وفى حزم ، وأمام رُعب ابنتها ، قالت (سلوى) :

ـ سأُغلِق الصنّبور .

انتزعت نفسها من مكانها ، واتّجهت نحو الصنّبور ، وتردّدت لحظة فى خوف ، ثم مدّت يدها لتُغلِق الصنّبور ..

وفجأة .. وعندما أمسكت يدها الصنّبور ، توقّف انهمار الدّم ، وعادت المياه تسيل لتغسل بقايا الدّم من جُدران الحَوْض ، فتراجعت يد (سلوى) فى ذُعر ، وقفز جسدها كله إلى الخلف ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !!

صاحت (نشوى) فى رُعب :

ـ ماذا يحدث هنا يا أُمّاه ؟

أجابتها (سلوى) فى رُعب لا يقلّ عن رُعبها :

ـ لست أدرى يا (نشوى) .. لست أدرى .

ثم مدّت يدها مرّة أخرى فى تردّد ، وأغلقت الصنّبور ، ثم تراجعت فى حركة حادّة ، وكأنها تتوقّع أن يحدث شىء ..

ومضت لحظات دون أية ردود أفعال ، فغمغمت (نشوى) :

ــ أكان هذا وهمًا ؟

مالت (سلوى) برأسها ، وتطلَّعت إلى بقايا الدم فى الحوض ، وغمغمت :

ــ بل حقيقة .

زفرت (نشوى) فى توتُّر بالغ ، وألقت جسدها فوق مقعد كبير ذى مسندين جانبيين ، وهى تهتف :

ــ مستحيل !!

وفجأة ، ارتجف جسدها ، وجسد أمِّها ، وتجمَّدت الدِّماء فى عروقهما ، فقد انبعثت فجأة ضحكة شيطانية مخيفة ، من مكان مجهول ، وردَّدت كل الجدران صداها ، فصرخت (سلوى) :

ــ ماذا يحدث هنا ؟

أمَّا (نشوى) فقد تجمَّدت فى رُعب ؛ إذ خُيِّل إليها أنَّ ظهرَ مقعدها يرتجف ، أو ينبض ..

وفى بطء ورُعب ، التفتت تتطلَّع إلى ظهر المقعد ، ثم لم تلبث أن أطلقت صرخة تموج بالرُّعب ..

لقد رأت ظهر المقعد أشبه بوجه ضخم ، يحدِّق بعينين مخيفتين ، ثم يكشِّر عن أسنان حادَّة مُرْعبة ..

وقبل أن تقفز (نشوى) مبتعدة ، أحاط مسندا المقعد الجانبيَّان بجسدها ، كما لو كانا ذراعَىْ جسد حَىّ ..

وصرخت (نشوى) فى رُعب هائل ..

وصرخت (سلوى) فى فَزَع رهيب ..

لقد رأت مقعدها يضم ابنتها إليه ، ويفتح أسنانه ليلتهمها ..

نعم .. ليلتهمها ..

* * *

انطلق (نور) بسيَّارته الصاروخية ، بسرعة بطيئة نسبيًّا ، عَبْرَ شوارع المدينة ، وهو يفكِّر فى عمق ..

كان أمر ذلك النقش الغامض يقلقه ، ويثير دهشته ..

بل ــ والحقُّ يُقال ــ كان يخيفه ..

لم يكن يدرك معناه ، أو مغزاه ، ولكنه يخشاه ..

وكان يشعر نحوه بخوف مُبْهَم ..

وعبثًا حاول أن يدرك أو يفهم صلة ذلك النقش برسالة جدِّه الرُّوحانيَّة ..



لقد رأت ظهر المقعد أشبه بوجه ضخم ، يحدّق بعينين مخيفتين

لماذا حاولت روح جَدّه تحذيره ؟..

لماذا قادته إلى ذلك النقش ؟..

وما الذى تَعْنيه تلك العبارة الغامضة : « النار وحدها تغسل الشرور » ؟!..

لماذا يبدو كل شىء غامضًا مُخيفًا هذه المرّة ؟!..

لماذا ؟.. لماذا ؟.. لماذا ؟!..

عشرات التساؤلات ملأت رأسه ، وأحاطت بتفكيره فى قُوّة ..

وفجأة ، وبينما كان ينحنى فى مُنْحَنَى حادّ ، يحتاج ــ حتى ممن يجيدون القيادة تمامًا ــ إلى حَذَر وانتباه شديدين ، هاجمته كل مخاوفه ..

هاجمته على هيئة ظل شيطانىّ مخيف ، لا شكل له ، انقضّ على سيّارته فجأة ، فأحال النهار أمامه إلى ظلام مُرْعِب ..

كان الموقف يبدو كما لو أن الليل قد انقضّ فجأة على سيّارة (نور) ، دون ما عداها ..

وحده رأى الظلام يحيط به تمامًا ، فى وَضَح النهار ..

وكردّ فعل طبيعىّ للمفاجأة والخوف ، فقد (نور) سيطرته على أزرار القيادة ..

وانحرفت سيارته فى شدة ..
وارتطمت بحاجز الطريق الجانبىّ ..
ودارت حول نفسها فى عنف ..
ثم انقلبت رأسًا على عقب ، واشتعلت النيران فى أحد أطرافها ..
وداخلها رقد (نور) ، شبه فاقد الوعى ..
وفى أذنيه ترددت ضحكة مخيفة ..
ضحكة شيطان ظافر ..

* * *



٧ ــ عالَم الأوْهام ..

انتفض جسد (سلوى) كله ، وهى تصرخ ..
وامتزجت صرخات الرُّعب ، المتقافزة من صدرها ، مع صراخ (نشوى) ، وهى تقاوم ذلك المقعد الحىّ ، الذى يحاول التهامها ..
كان المشهد كله أشبه بحُلْم مخيف ..
بكابوس ..
ومع مشاعر الأمومة فى عروقها ، انتزعت (سلوى) نفسها من خوفها ، والتقطت سكّينًا ضخمًا ، من وسط أدوات المطبخ ، وصرخت :
ــ اترك ابنتى أيها الوحش .
واندفعت نحو المقعد صارخة ..
وفجأة ، أمسك شىء ما بقدمها ، فتعثّرت وسقطت على وجهها ..
وعندما التفتت ؛ لترى ذلك الشىء ، صرخت كل خليّة من خلاياها فى رُعب ..

لقد كان المَوْقد ..

المَوْقد الضخم أمسك بقدمها ..

هو أيضًا دبّت فيه الحياة ..

وفى رُعب رأت (سلوى) باب فُرنه يُفتَح ، وزرّ الإشعال ينضغط ، فتضاء كل مصابيح الأشعة دون الحمراء ، المخصّصة لشىّ الأطعمة ..

وفى قوة راح الموقد يجذبها نحو الفُرن ..

وصرخت هى فى رُعب ..

لقد أدركت غرض ذلك المَوْقد الشيطانىّ الحىّ ..

إنه سيشويها ..

سيشويها حيّة ..

* * *

شعر (نور) بخوف عجيب ، عندما دوّت فى أذنيه تلك الضحكة الشيطانية مجهولة المصدر ، وحاول أن يقاوم تلك الغيبوبة ، التى تحيط برأسه ، وتنتزع منه الوعىَ تدريجيًا ، وتناهت إلى مسامعه أصوات من أحاطوا بسيّارته المحطّمة ، وهم يهتفون فى ذُعر ، وينادون بطلب طوّافة إسعاف ..

ولكنه كان منهكًا تمامًا ..

شىء ما راح يدفعه للاستسلام ..

كان يعلم أنه سيلقى حَتفه حرقًا ، ولكنه كان ـ لسبب ما ـ عاجزًا عن المقاومة ..

وفجأة ، خُيِّل إليه أنه قد انتُزِعَ من عالمه تمامًا ..

ربما سقط فى غَيْبوبة ..

أو انتقل عقله إلى عالَم آخر ..

إلى بَرْزخ نادر مجهول ..

بَرْزخ يصل ما بين عالمنا ، وعالم الحياة الأبدية ..

وبدا له وجه جَدّه واضحًا ، وسمعه يقول فى حزم :

ـ انهض يا ولدى .. لاتسمح له بالانتصار .. لاتجعله يهزمك .

حاول أن يهتف :

ـ إننى أَعْجَزُ من أن أفعل يا جَدّى .

ولكنه لم يستطع ..

فقط استمع إلى جَدّه ، وهو يهتف :

ـ أنت الأمل الوحيد الباقى يا ولدى .. لاتترك مبعوث الجحيم هذا يُشيع الشرّ حيثما ذهب .. قاوِمه .. واقتله .. من أجل البشرية .

هتف (نور) فى مرارة :

ــ لا أستطيع .. أنا ضعيف .. ضعيف .

صاح الجَدُّ فى غضب :

ــ انهض ، من أجل وطنك وعالَمك .

صاح (نور) :

ــ لقد حاولت ، وفشِلْت .

عقد الجَدُّ حاجبيه فى قوّة ، وهو يقول :

ــ انهض إذن من أجل ابنتك وزوجتك ..

ابنته ؟!..

زوجته ؟!..

وفجأة ، خرج (نور) من البَرْزَخ ..

عاد إلى عالَمه ..

ورأى النيران تقترب منه ..

وشعر بالقوْم من حوله يجاهدون لإخراجه من بَيْنِ الحُطام ..

وهنا فقط ، دبَّ الحماس والحزم فى قلبه وجسده ..

وراح يقاوم من أجل الخلاص ..

وَكانت النار تقترب .. وتقترب .. وتقترب ..

وهو يقاوم .. ويقاوم .. ويقاوم ..

ولم يكن يدرى بعد من سينتصر .. هو ، أم (ابن الشيطان) ؟.

* * *

كان الموقف ، فى مطبخ منزل (نور) رهيبًا مخيفًا ..

كانت (نشوى) تقاوم ذلك المقعد الحىّ فى رُعْب ..

والمَوْقِد الشيطانى يَجذب (سلوى) إليه ..

مشهد شيطانىّ مخيف ..

مشهد أبدعته قريحه مخرج ، جاء من أعماق الجحيم ..

مخرج شيطانىّ ..

وكان كل شىء يدعو إلى اليأس ..

وفى غمرة المرارة والرُّعب ، واليأس ، صرخت (سلوى) :

ــ رحماك يا إلٰهى !!

وفجأة ، ارتجف كل شىء ..

ارتجفت الجدران ..

ارتجف الأثاث ..

كل حجر وزاوية وركن فى المنزل كله راح يرتجف ، كما

لو أن زلزالًا عنيفًا قد انتقاه ، من دون بقاع الأرض ، وانقضّ عليه بكل قواه ..

كل أبواب أصونة المطبخ انفتحت دفعة واحدة ..

كل محتوياتها انهالت على رأس (سلوى) و (نشوى) ، اللتين تعالى صراخهما ، وهما تحميان وجهيهما بأذرعتهما وكُفُوفهما ..

وشهقت (سلوى) فى رُعب هائل ، عندما رأت سكينًا ضخمًا يهوى نحو عنقها ، وأدارت رأسها فى حركة حادَّة ، فانغرس نصل السكِّين فى الأرض ، على قيد سنتيمتر واحد من وريدها العنقى ..

ثم هدأ كل شىء فجأة ..

هدأت العاصفة الشيطانية كما بدأت ..

وعاد المقعد الحىّ مقعدًا عاديًا ، وكذلك المَوْقِد ..

وفى ذُهُول ، أدارت (سلوى) عينيها فيما حولها ..

وفى رُعب ، قفزت (نشوى) من مقعدها ، وراحت تحدِّق فيه فى هَلَع ، قبل أن تصرخ :

ــ أمَّاه .. دَعِينا نخرج من هنا .. دَعِينا نغادر ذلك المكان .

صرخت بها (سلوى) ، وهى تنهض :

ــ إنه منزلنا .

صاحت (نشوى) ، فى لهجة أقرب إلى الانهيار :

ــ إنه لم يَعُد كذلك .. لم يَعُد كذلك .

ثم صرخت فى انهيار :

ــ إنه الجحيم بعينه .

مرَّة أخرى تجمَّدت الدماء فى عروقهما ، عندما تردَّد فى المكان صدى تلك الضحكة الشيطانية المخيفة ..

وصاحت (نشوى) :

ــ هيَّا .. لن أبقَى فى ذلك المنزل لحظة واحدة .

انطلقتا تَعْدُوَان فى رُعب ، نحو باب المنزل ، وخُيِّل إليهما أن كل أثاثات المكان تتمايل فى سُخرية ، وتطلق ضحكات مشابهة لتلك الضحكة ، أو أنها تردِّد صداها ..

وصرخت (سلوى) فى رُعب :

ــ أىّ عذاب هذا ؟!.. أىّ عذاب ؟

ثم فتحت باب المنزل فى حِدَّة ..

ولكن إحداهما لم تغادره ..

لقد تراجعتا فى رُعب هائل ..

كانت أمامهما حديقة المنزل ، وقد استحالت إلى هشيم ذابل محترق ..

وخلفها لم يكن هناك شىء ..

فقط فراغ ..

فراغ هائل مخيف ..

* * *

قاوم (نور) فى شدة ؛ لينتزع نفسه من وسط حطام السيَّارة ، وجاهد ؛ ليدفع جسده إلى الأمام ، وسمع المحيطين بالسيَّارة ، وهم يتجادلون فى توتُّر وقلق ، ويحاولون إطفاء النار ، التى راحت تزحف نحوه فى سرعة مخيفة ..

وفجأة ، أمسكت يد قوية بمعصمه ، وانتزعته فى عنف من بين الحُطام ..

ووجد نفسه يقف أمام بقايا سيَّارته المحترقة ..

وفى آلية ، هتف :

ــ يا إلٰهى !!.. لقد نجوت .. حمدًا لله .

ثم التفت إلى المحيطين به ، مستطردًا فى انفعال :

ــ شكرًا لتعاونكم أيها السادة ، ومزيد من الشكر لذلك الذى جذبنى من بين الحُطام .

هتف أحدهم فى دهشة :

ــ جذبك ؟!.. ولكن أحدًا لم يجذبك .. لقد قفزت وحدك من بين الحطام ، وهى معجزة والحقُّ يُقال .

تطلَّع إلى الرجل مشدوهًا ، وهتف :

ــ وحْدى ؟!

ثم أشار إلى مِعْصمه ، مستطردًا :

ــ ولكننى ما زلت أشعر بـ......

بتر عبارته بغتة ، وقد بدا له من غير المُجْدى أن يشرح ما حدث ..

لقد بدأ الأمر برسالة من عالم الأرواح ، وأمر يبدأ هكذا ، لا ينبغى أن ينتظر منه المرء خطوات منطقيَّة أو مفهومة ..

وفجأة ، برزت فى رأسه صُورَة زوجته وابنته ، فهتف :

ــ يا إلٰهى !!

ثم اندفع فجأة ، أمام الجمع المشدوه ، مخترقًا الطريق ، فى سبيله إلى منزله ..

وفى أعماقه راح يهتف :

ــ ربَّاه !! عاونى يا إلٰهى !! حتى أصل قبل أن يصيبهما شىء .. عاونِّى يا إلٰهى !..

* * *

تراجعت (سلوى) فى رُعب وانهيار ، وهى تهتف :

ــ لا يوجد شىء يا (نشوى) .. لقد انتقل المنزل كله إلى عالَم من العدم .

صرخت (نشوى) :

ــ مستحيل !!.. لا يوجد عالَم من العدم .. العدم هو ألا يكون هناك شىء .

ثم توقَّف بصرها عند نقطة ما ، وهتفت مستطردة :

ــ انظرى يا أُمَّاه .. هناك .

ارتجفت (سلوى) ، وهى تهتف :

ــ ماذا هناك يا (نشوى) ؟.. ماذا هناك ؟

صاحت فى انفعال :

ــ سيَّارتى يا أُمَّاه .. إنها هناك .. وسط كل هذا الحُطام .. ما زالت تقف سليمة .

صاحت بها (سلوى) فى مرارة ويأس :

ــ وفِيمَ تفيد سيَّارتك يا (نشوى) ؟.. إنها لن تنطلق وسط العَدَم .

جذبتها (نشوى) من معصمها ، وهى تهتف :

ــ مَنْ يَدْرى ؟.. المهمُّ أن نحاول .

انطلقتا تَعْدُوَان نحو السيَّارة ، وما إن بلغتاها حتى فتحت (نشوى) بابها ، وقفزت داخلها ، وصرخت بأُمِّها :

ــ بسرعة يا أُمَّاه .. بسرعة .

قفزت (سلوى) على المقعد المجاور لها ، وأسرعت هى تضغط أزرار إشعال المحرِّك ، على حين هتفت (سلوى) :

ــ إلى أين سنذهب ؟.. إلى أين ؟

صرخت (نشوى) :

ــ لست أدرى .. المهم أن نبتعد عن هنا .. هذا هو المهم .

انطلقت بالسيَّارة فى توتُّر وخوف بالغَيْن ، وهى تغمغم فى أعماقها :

ــ المهم أن نبتعد .. وأن نبتعد كثيرًا ..

وفجأة ، برز شىء ما من الأرض ..

كيان أسود هائل مخيف ..

أبشع شىء رأته فى حياتها ..

وصرخت (سلوى) ، وتجمَّدت يد (نشوى) على عجلة القيادة ..

وانحرفت السيَّارة ..

وهوَت ..

هوَت فى فراغ بلا نهاية ..

* * *



وفجأة ، برز شيء ما من الأرض .. كيان أسود هائل مخيف

٨ ـ لُعبة أرواح ..

هوَت السيَّارة ..

أحاط بها فراغ مُظلم ، من كل الاتجاهات ..

وتردَّد صدى صرخة (سلوى) فى عقلها ..

وراح الصوت يخفُت ويخفت .. ويخفُت ..

والظلام يشتد .. ويشتد .. ويشتد ..

ثم انقشع فجأة ..

كل شيء انتهى فى لحظة واحدة ..

واستيقظت (سلوى) ..

استيقظت لتجد نفسها راقدة على سرير صغير ، داخل مستشفى أنيق ، وإلى جوارها جلس (نور) ، يتطلَّع إليها فى حنان وإشفاق ..

وهتفت :

ــ أين أنا ؟.. أين (نشوى) ؟.. ماذا حدث ؟

ربَّت (نور) على كتفها فى حنان ، وقال :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا عزيـزتى .. لقـد نجوت بأعجوبة ، فقد انطلقت (نشوى) بالسيّارة فى سرعة مفاجئة ، فارتطمت بحاجز الحديقة ، وتحطَّمت مقدّمتها .

هتفت فى دهشة :

ـ الحديقة ؟!.. أما زالت هناك حديقة ؟

أجابها فى حَيْرة :

ـ بالطبع يا عزيزتى .. إنها هناك دَوْمًا .

أغلقت عينها فى ألم ، وهى تغمغم :

ـ كلَّا .. آخر مرَّة رأيتها لم تكن هنـاك .. أو لم تكـن حديقة .. كانت مجرَّد هباء منثور .

عقد حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟..الحديقة كما هى يا (سلوى).. لقد نقلتكما منها إلى هنا ، بعد الحادث ..

هتفت بغتة :

ـ أين (نشوى) ؟

ربَّت على كتفها ، مغمغمًا :

ـ اطمئنّى .. إنها بخير .. لقد أصيبت بكسر فى إحدى أضلاعها ، وتم علاجها ، وهى تنام الآن فى الحجرة المجاورة .

تنهَّدت فى ارتياح ، واسترخت فى سريرها ، فمال نحوها ، وهو يقول فى قلق :

ـ ماذا حدث يا (سلوى) ؟.. أخبرينى بالله عليك .. ماذا حدث ؟

زفرت فى توتُّر ، وقالت :

ـ سأخبرك يا (نور) .. سأخبرك بكل شىء .

* * *

استمع الدكتور (حجازى) ، فى مزيج من القلـق والاهتمام ، إلى (نور) ، وهو يروى له كل ما سمعه من زوجته بالتفصيل ، ثم عقد حاجبيه فى توتُّر ، وهو يتراجع فى مقعده ، قائلًا :

ـ أأنت واثق من كل ما رويته الآن يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى توتُّر :

ـ تمام الثقة يا سيِّدى .

ثم قلَّب كفَّيه فى حَيْرة ، مستطردًا :

ـ ولكن ما يثير دهشتى حقًّا ، هو أن شيئًا لم يتغيَّر فى المنزل .. لقد عُدت إليه ، بعد أن قصَّت علىَّ (سلوى) القصة ، فوجدت كل شىء فيه على ما يرام .. والمطبخ مرتَّب نظيف ، وكل قطعة فى موضعها .

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ إذن فكل ما حدث مهما كان مجرَّد وَهْمٌ .

تمتم (نور) :

ـ يبدو أن هذا صحيح .

مطَّ الدكتور (حجازى) شفتيه ، وعقد حاجبيه فى شدَّة ، وراح يفكِّر فى عُمق ، قبل أن يقول فى قلق :

ـ أتعلم ما الذى يَعْنيه ذلك يا (نور) ؟

سأله (نور) فى توتُّر :

ـ ماذا ؟

اعتدل ، وهو يجيبه فى صوت متوتِّر :

ـ يَعْنِى أن بيتك قد سكنته الأرواح الشرِّيرة .

تراجع (نور) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ ماذا ؟!

ثم عقد حاجبيه بدوْره ، وهو يستطرد فى حِدَّة .

ـ ماذا تقول يا دكتور (حجازى) ؟!.. إننى رجل علم .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ ماذا تقول أنت يا (نور)؟.. كلانا رجل علم يا ولدى،

ولكن ليس كل ما يحويه كَوْننا معروفًا ومعلومًا .. كوكبنا نفسه يحوى من الألغاز ما يفوق قُدْرتنا على تفسيره ، مثل خفايا الهرم الأكبر ، ومثلث برمودا ، وغيرها .. وهذا لا يَعْنِى أنها أمور مخالفة للعلم ، ولكن يَعْنِى أن علومنا لم تبلغ بعد الحدَّ الكافى لفهمها .

زفر (نور) فى قوَّة ، وغمغم :

ـ ولكن مسألة الأرواح الشريرة هذه .....

قاطعه الدكتور (حجازى) فى حزم :

ـ هذا هو التفسير الذى أملكه يا (نور) .

تنهَّد (نور) مرَّة أخرى ، وقال :

ـ حسنًا .. هذا أفضل منِّى ولا شك ، فلست أملك تفسيرًا واحدًا .

ثم نهض من مقعده ، واتجه نحو نافذة حجرة مكتب الدكتور (حجازى) ، وتطلَّع منها إلى الطريق لحظات ، ثم زفر مرَّة ثالثة ، وقال :

ـ يبدو أن هذا الأمر يفُوق إدراكى .

غمغم الدكتور (حجازى) فى إشفاق :

ـ لا بأس .. دَعْ لى الأمر كله .

التفت إليه ، وسأله فى اهتمام :

ــ ماذا ستفعل ؟

أجابه فى هدوء حازم :

ــ سأستعين بزميل لى ، ونقيم الليلة جلسة لتحضير الأرواح .. فى منزلك ..

* * *

لم تكد عقارب الساعة تُعلن تمام العاشرة مساءً ، حتى رأى (نور) سيَّارة الدكتور (حجازى) تعبُر بوَّابة حديقة منزله ، ورآه يهبط منها ، بصحبة رجل طويل القامة ، عريض المنكِبَيْن ، وقف يتلفَّت حوله فى هدوء ، ثم مطَّ شفته ، وتبع الدكتور (حجازى) إلى منزل (نور) ، الذى أسرع يستقبلهما عند الباب ، فقدّم إليه الدكتور (حجازى) زميله ، قائلًا :

ــ الدكتور (عبد الجليل) ، أشهر وسيط رُوحانى فى الشرق الأوسط .

صافح (نور) الرجل ، وهو يقول :

ــ كم تُسعدنى مقابلتك يا دكتور (عبد الجليل) .

تلفَّت الدكتور (عبد الجليل) حوله، وهو يصافح (نور) ، ثم غمغم فى لهجة تشفُّ عن حَيْرة حقيقية :

ــ عجبًا !!.. المنزل يبدو لى نظيفًا للغاية .

غمغم (نور) مستفهمًا :

ــ نظيفًا ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) ، مفسِّرًا :

ــ هذا يَعْنى أنه خالٍ من الأرواح .

حدَّق (نور) ، فى وجه الدكتور (عبد الجليل) ، هاتفًا فى دهشة :

ــ هكذا ؟!.. بهذه البساطة ؟!

التفت إليه الدكتور (عبد الجليل) فى حركة حادَّة ، وقال :

ــ من الواضح أنك لا تفهم شيئًا عن عالَم الأرواح يا فتى .

غمغم (نور) :

ــ فى الواقع أننى ......

قاطعه فى صرامة :

ــ هل يمكننى ، أنا وأنت ، أن نرى الأشياء الدقيقة بنفس الوضوح ؟

هزَّ (نور) كتفيْه ، وقال :

ــ كلَّا بالطبع .. فقد ......

قاطعه مرَّة أخرى :

ـ هذا ينطبق أيضًا على عالم الأرواح ، فما أراه أنا فى وضوح ، قد لا يمكنك رؤيته أبدًا ، أما ما أشعر به ، فقد لا تشعر أنت به مدى الحياة .

زفر (نور) فى توتُّر ، وقال :

ـ حسنًا .. إننى أعترف بأننى أجهل أمور عالَم الأرواح تمامًا .

ابتسم الدكتور (حجازى) ابتسامة متوتِّرة ، وهو يقول ، محاولًا تخفيف الموقف :

ـ لا بأس .. ما رأيكما أن نبدأ على الفور ؟

غمغم (نور) فى ضيق :

ـ إننى أوافق بالطبع ، فأنا أحب أن أُنهِىَ هذا الأمر بأقصى سرعة .

قال الدكتور (حجازى) :

ـ كلنا هذا الرجل .

ثم التفت إلى (نور) ، يسأله :

ـ أحدث شىء ، بعد عودتك يا (نور) ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا شىء مطلقًا .

اتجه (عبد الجليل) نحو مقعد يتوسَّط رَدْهَة المنزل ، وجذبه ليجلس فوقه ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. فلنبدأ .

جلس الدكتور (حجازى) و (نور) على جانبيه ، ووجهاهما إليه ، وأغلق هو عينيه ، وراح يتمتم بكلمات مُبهمة غريبة ، ثم قال الدكتور (حجازى) فى صوت عميق :

ـ نَمْ .. نَمْ وانتقل إلى عالَم اللاوَعْى .. اترك عقلك لهم .

واصل (عبد الجليل) تمتمته المُبْهمة ، على حين ارتفع صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول فى حزم وقوَّة :

ـ هيًا .. أقْدِموا .. سنستضيفكم هنا .. فى عقله .. هيًا .

وفجأة ، تحوَّلت تمتمة (عبد الجليل) المُبْهمة إلى أنين ، وراح يعتصر أجفانه فى قوَّة ، فعقد الدكتور (حجازى) حاجبيه ، وغمغم فى توتُّر :

ـ ما هذا ؟!.. ماذا يحدث ؟

هبَّ (نور) من مقعده ، وهو يهتف فى توتُّر :

ـ ماذا ؟!.. أتعْنى أن هذا ليس أمرًا طبيعيًا ، فى جلسات تحضير الأرواح ؟

راح الدكتور (عبد الجليـــل) ، فى هذه اللحظة ، يتأوّه فى قوّة ، ويتلوّى فى آلام رهيبة ، فهتف الدكتور (حجازى) :

ـ كلّا .. ليس طبيعيًّا على الإطلاق .

ثم أخذ يهزّ (عبد الجليل) فى قوّة ، وهو يهتف :

ـ استيقظ يا (عبد الجليل) .. استيقظ .. عُدْ إلى وَعْيك .

صرخ (عبد الجليل) فى ألم ، وراح يتلوّى ، ويهتف بعبارات متضرّعة ، فصرخ (نور) ..

ـ ماذا يحدث ؟!

لم يكد يُتِمّ عبارته ، حتى راحت كل أثاثات الرّدهة تهتز فى قوّة ، فشَحُب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !

ثم عاد يهزّ (عبد الجليل) فى عُنف ، صارخًا :

ـ عُدْ إلى وعيك يا (عبد الجليل) .. عُدْ بالله عليك .

وفجأة ، راحت كل الأثاثات ترتفع ، وتهوى أرضًا ، وقفزت لوحات الحائط من أماكنها ، وتحطّمت أرضًا ، وهتف (نور) :

ـ يا إلهى !!.. أيّة أفاعيل شيطانية هذه ؟

صاح الدكتور (حجازى) :

ـ إنها الأرواح .. الأرواح الشرّيرة .. لقد سيطرت على المكان ، وعلى جسد (عبد الجليل) المسكين .

وهنا انطلقت صرخة هائلة ، من حَنجرة (عبد الجليل) ، فالتفت إليه (نور) والدكتور (حجازى) ، ولكن ما رأياه جعلهما ، على الرغم من شجاعتهما ، يرتجفان رُعبًا ..

وكان الرُّعب هائلًا ..

هائلًا للغاية ..

* * *



٩ ــ عين الشيطان ..

توقَّفت سيَّارة صاروخية أنيقة ، تحمل شعار الأطباء ، داخل موقف السيَّارات الخاص ، بفناء مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، وهبط منها شابٌّ وسيم ، يرتدى معطف الأطباء المميَّز ، الذى يحمل شعار المستشفى ، وعَبَرَ بوَّابتها الضخمة فى هدوء ، واتجه إلى ممرَّات قسم الطوارئ والإنعاش ، حيث أخرج من جيبه بطاقة صغيرة ، لا تشبه بأى حال من الأحوال ، تلك البطاقة ، التى يحملها أطباء المستشفى ، إلا أنه ، وعلى الرغم من ذلك ، لم يكد يدسّها فى ذلك الفراغ الدقيق ، بجوار رتاج باب الممرّ ، حتى استجاب له فى يُسْر ، وانفتح فى هدوء ، فعبره الشابّ ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة خبيثة ، ويغمغم فى سُخرية :

ــ رائع .. كل الأبواب تخضع .

واتجه نحو غرفة جانبيَّة ، وهو يستطرد :

ــ رائع هو هذا الشيطان .. لا شىء يهزمه أبدا .

دفع باب الحجرة فى هدوء ، وتطلَّع إلى (نشوى) ، التى ترقد فى هدوء ، وقد استسلمت لنوم عميق ، وأنبوب دقيق يغُوص فى شريانها ، وغمغم فى سُخرية :

ــ نومًا هنيئًا يا صغيرتى .

ثم أخرج من جيبه محقنًا ، دفع إبرته فى الأنبوب ، ودفع داخل الأنبوب سائلًا أحمر اللون ، أشبه بالدَّم ، وهو يستطرد فى صوت أشدُّ سُخرية :

ــ مع تحيات الشيطان نفسه .

وعندما انطلقت ضحكة ، من بين شفتيه ، كانت كبيرة الشَّبه بضحكة سيِّده ..

(ابن الشيطان) ..

* * *

تراجع (نور) والدكتور (حجازى) فى رُعْب شديد ، وهما يحدِّقان فيما يحدث لـ (عبد الجليل) ..

كانت عيناه جاحظتين ، على نحو لم يحدث لبشر من قبل ، حتى لقد بَدَتا وكأنهما خارج وجهه ، على حين تدلَّى لسانه على نحو بَشِع ، والتَوَت أطرافه فى شدَّة ، كما لو كانت مصنوعة من المطَّاط ..

ولكن كل هذا لم يكن سبب رُعبهما ..

لقد هاجمهما الرُّعب بسبب يد ..

يد عملاقة ، زرقاء ، مخيفة ، ذات مخالب حادَّة رهيبة ، برزت من أرض الرَّدهة ، وقبضت على وسط الدكتور (عبد الجليل) ، تعتصره فى قوَّة ..

وصرخ الدكتور (حجازى) :

ـ ما هذا ؟.. ما هذا يا (نور) ؟

هتف (نور) :

ـ أتسألنى أنا ؟!.. سبق أن أكَّدت أننى لا أفقه شيئًا فى تلك الأمور .

ازداد توتُّرهما ورُعبهما ، عندما اندلعت فجأة ألسنة اللهب ، من ذلك الشقِّ الضخم ، الذى برزت منه اليد الماردة ، وصاح الدكتور (حجازى) ، وهو يتراجع فى حِدَّة :

ـ أىّ جحيم هذا ؟.. أىّ جحيم ؟

وهنا صرخ الدكتور (عبد الجليل) فى ضراعة :

ـ الرَّحمة .. أنقذونى .. إننى أموت .. أموت .

انتزعت هذه العبارة (نور) من مخاوفه ، فانعقد حاجباه فى شدَّة ، وهو يهتف :



يد عملاقة ، زرقاء مخيفة ، ذات مخالب حادَّة رهيبة ، برزت من أرض الرَّدهة

ــ لن نتخلّى عنك .. لن نتركك .

ثم انتزع مسدّسه اللّيزرىّ فى عُنف ، وأطلق أشعَّته نحو اليد العملاقة ، ولكن اليد لم تتأثّر مطلقًا ..

وصاح الدكتور (حجازى) :

ــ لا فائدة يا (نور) لا فائدة .

صرخ (نور) :

ــ مستحيل !!

وهتف الدكتور (عبد الجليل) فى ألم :

ــ أنقذونى .. أرجوكم .

وفجأة ، برزت من الأرض يد ماردة أخرى ، وقبضت على وسط الدكتور (حجازى) ، الذى صرخ فى هلَع :

ــ النَّجدة يا (نور) !! النَّجدة !!

التفت إليه (نور) ، وهو يصرخ فى يأس :

ــ ولكن ماذا أفعل ؟.. أخبرانى بالله عليكما .. ماذا أفعل ؟

وفجأة ، برزت يد بشعة ثالثة .. ورابعة .. وخامسة .. غابة من الأيدى الماردة المخيفة برزت فجأة ، وسط صرخة (نور) :

ــ ماذا أفعل ؟..

حقًّا ..

ماذا يفعل ؟!..

* * *

أوقف (صفوت) سيَّارته أمام منزله ، وهبط منها فى هدوء ، ثم نزع عنه ذلك المعطف الأبيض ، الذى يحمل شعار مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، والذى كان يرتديه عندما انتحل شخصية الطبيب ، وألقاه داخل السيَّارة ، ثم اعتدل فى مَهابة ، واتجه نحو المنزل ، ودفع بابه ، وارتجف فى خوف وتوتُّر ، عندما انبعث فى الظلام صوت صارم يقول :

ــ هل نجحت ؟

لم يجرؤ (صفوت) على التطلُّع إلى العينين الناريَّتين ، وهو يقول :

ــ بالطبع يا سيِّدى .. لا أحد يفشل ، عندما ترعاه أنت .

ابتسم (ابن الشيطان) فى زهْوٍ ، وهو يقول :

ــ صدقت .

ثم جلس صامتًا ، وراحت عيناه تتألقان ببريق شيطانى مخيف ، كما لو أن لهبًا يندلع فى محجريهما ، فغمغم (صفوت) فى خوْف :

ــ ماذا هناك يا سيِّدى ؟

أجابه فى صرامة مخيفة :

ـ اصمت .

وكان هذا يكفى ..

وصمت (صفوت) ..

* * *

لأوّل مرّة يشعر (نور) أنه عاجز تمامًا ..

كانت عشرات الأيدى تبرز من الأرض ، فى أبشع مشهد رآه فى حياته ، وقد اعتصرت إحداها الدكتور (عبد الجليل) فى قبضتها ، واعتصرت الأخرى الدكتور (حجازى) ..

وهو وحده يجهل كل شىء عن عالَم الأرواح ، الخيّرة منها أو الشرّيرة ..

وسلاحه الوحيد لا يؤثّر فيها أبدًا ..

وفجأة ، امتدّت يد بشعة نحوه ..

أطلق أشعة مسدّسه نحوها مرّة ، وأخرى .. وأخرى .. ولكنها واصلت تقدّمها نحوه ..

ثم أحاطت به تلك الأصابع البشعة ، ذات المخالب الرّهيبة ..

واعتصرته الأصابع ..

وبدا أن الشيطان الابن سينتصر فى معركته ..

سينتصر حتمًا ..

* * *

١٠ ـ لَمْحة أَمَل ..

فجأة ، استيقظت (نشوى) من نومها ..

وفجأة ، نهضت جالسة على سريرها ..

وبآلية تامة ، نهضت واقفة ..

ثم صرخت ..

أطلقت صرخة مدوّية ، جلجلت فى ممرّ المستشفى كله ، ثم انتزعت الأنبوب الدقيق من ذراعها ، وألقت به بعيدًا ، واندفعت نحو باب الحجرة ، وفتحته فى قوة ، ثم قفزت إلى الممرّ ..

وأسرع ممرضو المستشفى نحوها ، وهم يتساءلون عمّا أصابها ، أمّا هى ، فقد وقفت تنتظرهم فى هدوء ، وعيناها تتألقان ببريق مخيف ..

بريق أشبه ببريق عينى (ابن الشيطان) ..

وتوقّف الرجال الثلاثة فى خوف ، قبل أن يصلوا إليها ..

شىء ما فى نظراتها سمّرهم فى خوف ..

ثم تمالك أحدهم جأشه ، واتجه نحوها ، مغمغمًا :

ـــ رُوَيْدك يا آنسة .. رُوَيْدك .. لا شيء هنا يستحق كل هذا .

أطلقت من بين أسنانها زمجرة مخيفة ، جعلت الرجل يتراجع على نحو حادّ ، وهو يحدّق فيها بعينين ذاهلتين جاحظتين ..

وفجأة ، انقضت عليهم (نشوى) ..

انقضّت كأنثى نمر شرسة ..

وبلكمة كالقنبلة ، أطاحت بالرجل الأوّل بعيدًا ، ثم استدارت إلى الثانى ، وحطّمت فكّه بلكمة ثانية ..

وتراجع الثالث ، هاتفًا فى رُعب :

ـــ الرّحمة يا آنستى !! الرّحمة !! إننى لم أفعل لك شيئًا .

اقتربت منه فى شراسة ، وعيناها تبرقان فى وحشية ، فانهار هاتفًا :

ـــ الرّحمة !!

وهنا برز أحد رجال أمن المستشفى ، وألقى نظرة ذاهلة على الرجلين الملقيين أرضًا ، ثم رفع عينيه إلى (نشوى) والرجل الثالث ، قبل أن يغمغم فى ذهول :

ـــ ماذا يحدث هنا ؟

لم يكد الممرّض الثالث يسمع صوت رجل الأمن ، حتى التفت إليه ، وهتف فى ضراعة :

ـــ النّجدة !! النّجدة !!

لم يفهم رجل الأمن كيف يرتعد رجل ضخم كهذا ، أمام فتاة رقيقة مثل (نشوى) ، إلّا أن نظرة أخرى على الرجلين الفاقدى الوعى ، جعلته يحسم أمره فى سرعة ، وينتزع مسدّسه اللّيزرىَ ، ويصوّبه إلى (نشوى) ، هاتفًا فى صرامة :

ـــ توقّفى يا سيّدتى .. توقّفى أو أطلق النار .

ولكن (نشوى) لم تلتفت إليه ، بل جذبت إليها الممرّض المسكين ، الذى صرخ فى رُعب :

ـــ الرّحمة !!

ثم هوَت قبضتها على فكّه ، فهشّمت أسنانه الأمامية كلها ، وتدفّق نهر من الدماء فى فمه ..

وهنا صرخ رجل الأمن :

ـــ توقّفى يا سيّدتى .. هذا هو الإنذار الأخير .

ولكنها رفعت قبضتها مرّة أخرى ، لتهوىَ بها على فكّ الرجل ، فصرخ رجل الأمن :

ـــ إنك لم تتركي لى خيارًا يا سيِّدتى .
وأطلق أشعته اللّيزريَّة ..

* * *

لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله (نور) ..
لقد انهزم فى معركته ..
اندحر ..
تحطَّم ..
ولكن ما آلمه حقًّا هو أنه لم يعلم بعد مَنْ غريمه ، أو ما الذى يقاتله ..
ولكنه ، على الرغم من الآلام التى يعانيها ، من اعتصار اليد الماردة له ، لم يكن قد صدَّق بعد ما يحدث ..
كان الأمر برُمَّته يبدو له أشبه بكابوس رهيب ..
نعم .. كابوس ..
برزت الفكرة فى رأسه بغتة ، فصرخ فى قوَّة :
ـــ كابوس ..
لم يفهم الدكتور (حجازى) ما الذى يَعْنيه (نور) ، الذى كرَّر فى قوة :
ـــ كل هذا مجرَّد كابوس .. وَهْم .. خيال .. هذا وَهْم .. وَهْم .

وفجأة ، ومع آخر حروف كلماته تلاشى كل شىء ..
اختفت الأيدى العملاقة ..
انتهى الخوف ..
عاد الزمن كله إلى الوراء بقفزة واحدة ..
فجأة ، وجد الثلاثة أنفسهم يجلسون كما كانوا ..
الدكتور (عبد الجليل) فى المنتصف ، و(نور) والدكتور (حجازى) على جانبيه ، ووجهاهما إليه ..
وانتفض الثلاثة انتفاضة واحدة ، كما لو كانوا يستيقظون من حُلْمَ بَشِع ، وحدَّق بعضهم فى وجه البعض فى ذُهُول ، ثم هَبَّ (نور) واقفًا ، وتطلَّع إلى المنزل الهادئ المنظم من حوله ، وهتف :
ـــ ما هذا ؟.. أكُنَّا نَحْلُم ؟
صاح الدكتور (عبد الجليل) ، وهو ينهض فى ذُعْر :
ـــ مستحيل !! لا يوجد حُلْم بكل هذا الوضوح .
وغمغم الدكتور (حجازى) فى شُحُوب :
ـــ حتمًا لم يكن حُلْمًا .
هتف الدكتور (عبد الجليل) فى خوف :
ـــ إننى لم أرَ أبدًا شيئًا كهذا .. صدِّقنى يا فتى ، تلك

الروح الشرّيرة ، التى تقطن منزلك ، من أشدّ الأرواح شرًّا فى هذا العالم .. صدّقنى .

ثم اندفع نحو الباب ، مستطردًا فى صوت مرتجف :

ــ ولن يمكننى التصدّى لها يا ولدى .. لست كفؤًا لذلك .

هتف به (نور) :

ــ انتظر يا سيّدى .. إننى أحتاج إلى تعاونك .

صاح الرجل فى رُعب :

ــ لن يمكننى ذلك .. لن أستطيع .

وفجأة ، انطلقت من بين شفتيه صرخة رُعب هائلة ، فور أن فتح الباب ، وتراجع صارخًا :

ــ كلّا .. كلّا ..

وفى بطء ، عَبَرَ ذلك الشىء البشع باب المنزل خلفه ..

كيان مرعب رهيب ، هو جزء من أشد بقاع الليل سوادًا ..

كيان بلا ملامح ..

فقط كتلة سوداء رهيبة ، ذات أطراف ضخمة قصيرة ، وعينين فى لون الدم ..

وبصوت أشبه بقبر يُفتح ، برزت فى منتصف ذلك الكيان البشع أنياب هائلة ..

وسقط الدكتور (عبد الجليل) أرضًا ، وهو يصرخ :

ــ كلّا .. ليس أنا .. ليس أنا .

وهتف الدكتور (حجازى) فى رُعب :

ــ مستحيل !! إنه الجحيم !! الجحيم بعينه !!

أما (نور) ، فقد راح يردِّد فى عصبيَّة :

ــ إنه وَهْمٌ .. كل هذا مجرَّد وَهْمٌ .

ولكن ذلك الكيان البشع لم يكن وَهْمًا ..

وخاصَّة عندما مال نحو الدكتور (عبد الجليل) ، الذى راح يصرخ فى رُعب هائل ، و.....

والتهمه ..

نعم ..

ابتلعه دفعة واحدة ، وأغلق أنيابه خلفه ، وتلاشت صرخة المسكين فى جوف الكيان البشع ، وسمع (نور) والدكتور (حجازى) فى وضوح ، صوت عظامه تتهشَّم ، فى أعماق الكيان ..

مال نحو الدكتور (عبد الجليل) ، الذى راح يصرخ فى رُعب هائل ، و ..... والتهمه .

وانهار الدكتور (حجازى) ، وهو يردّد :

ــ مستحيل !! .. مستحيل !!

أما (نور) ، فقد اتسعت عيناه فى ذُعر ، وهو يواصل تَرْدِيدَهُ :

ــ هذا وَهْمٌ .. وَهْمٌ .

ولكن شيئًا ما فى أعماقه صرخ :

ــ بل حقيقة .. حقيقة يا (نور) .

وهنا وجد نفسه يغمغم ، وهو يراقب اقتراب ذلك الكيان البشع منه ، ومن الدكتور (حجازى) :

ــ إذن فهو حقيقة .

ثم انتزع مسدّسه اللّيزرىّ من حزامه ، وهو يصرخ بغتة :

ــ والحقائق لا تواجهها سوى الحقائق ..

وأطلق أشعة المسدّس اللّيزرية على الكيانِ البشع ..

* * *

انطلقت أشعة مسدّس رجل أمن المستشفى نحو (نشوى) ، ولكن الخيط اللّيزرىّ القاتل لم يُصِبْها ..

ليس لأن رجل الأمن لا يجيد التصويب ..

وليس لأنه كان مرتبكًا ..

ولكن لأن (نشوى) نفسها ، لم تكن حيث هبطت أشعة اللّيزر ..

لقد قفزت بسرعة مُذهلة جانبًا ، وتفادت الأشعة القاتلة على نحو شيطانى مخيف ، ثم اندفعت نحو رجل الأمن ، الذى تراجع فى ذُهُول ، وانتزعت مسدّسه اللّيزرىّ من قبضته ، ثم اعتصرته بقبضتها ..

واتسعت عينا رجل الأمن فى رُعب وذُهُول ، وهو يرى مسدّسه يتحوّل إلى كتلة غير واضحة المعالم ، من المعدن المحطَّم ، فى قبضة (نشوى) ، التى زمجرت فى وجهه فى شراسة ووحشية ، ثم ضمَّت قبضتها ، ورفعتها لتهوِىَ بها على فكّه ..

وأغلق رجل الأمن أسنانه فى رُعب ، وهو يتوقَّع أن تقتله اللكمة ، من تلك القبضة ، التى حطَّمت مسدّسًا قويًّا باعتصارة واحدة ..

ولكن القبضة لم تسقط على فكّه أبدًا ..

لقد تراخت بغتة ، وسقطت إلى جوار (نشوى) ، التى تلاشت الشراسة منها دفعة واحدة ، وهى تقول فى ألم :

ــ صداع رهيب .. رهيب .

ثم سقطت فجأة ، بين ذراعى رجل الأمن ، فاقدة الوعى ..

ومضت لحظات توقَّف فيها الزمن ، ورجل الأمن يحدّق فى تلك الفتاة ، الفاقدة الوعى بين ذراعيه ، فى ذُهُول ، قبل أن يهتف فجأة :

ــ النّجدة !! هناك أمر غريب هنا .

وعاد يحدّق فيها ، قبل أن يستطرد :

ــ أمر شيطانىّ ..

* * *

أصابت أشعة مسدّس (نور) اللّيزرىّ ذلك الكيان البشع ، بين عينيه تمامًا ، والدكتور (حجازى) يصرخ :

ــ لا فائدة .. لا فائدة ..

ولكن الكيان الأسود البشع توقَّف بغتة ، وارتجَّ فى قوة ، ثم تدفَّقت من بين عينيه حُمَم ملتهبة ، ثقبت أرض المنزل إلى عمق كبير ..

وهَوَى الكيان ..

هوَى صريعًا ..

وأمام عيون الدكتور (حجازى) و (نور) ، راح الكيان البشع يتلاشى ويذوب فى سرعة ، كما لو أنه كان يتكوَّن كله من تلك الحُمَم ..

وأخيرًا تلاشى كله ..

لم يَعُد باقيا منه سوى كُرَة صغيرة ، فى حجم قبضة اليد ، فى فراغ عجيب ، أو مادة أشبه بالفراغ ..

وهتف الدكتور (حجازى) فى انفعال :

ـ يا إلٰهى !!.. لقد نجحت يا (نور) .. لقد نجحت .

أشار (نور) إلى الكيان ، مغمغمًا :

ـ أتظن ذلك الشىء هو المسئول عن كل ما حدث ؟

هتف الدكتور (حجازى) :

ـ بالتأكيد .. إننى لم أرَ ما هو أبشع منه .

هزَّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلَّا .. من المستحيل أن يُنْهِىَ ما فعل كل هذا ، بمثل هذه البساطة .

والتفت إلى الدكتور (حجازى) ، مستطردًا فى حزم :

ـ هذا الشىء مجرَّد تابع لما نحاربه ، أو لمن نحاربه يا سيِّدى .

حدَّق الدكتور (حجازى) فى بقايا ذلك الشىء البشع ، وهو يغمغم :

ـ يا إلٰهى !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى عادت جدران المنزل ترتج فى قوّة ، فالتصق بالحائط ، هاتفًا :

ـ لا .. ليس مرَّة ثانية .. ليس مرَّة ثانية .

وفجأة ، انشقَّ الحائط من خلفه ، وفقد توازنه ، ووجد نفسه يَهْوِى فى هُوَّة عميقة ، فصرخ فى رُعْب :

ـ النَّجدة يا (نور) !!

قفز (نور) نحوه ، وأمسك معصمه فى سرعة ، ولكن الدكتور (حجازى) كان ممتلئ الجسم ، يفُوق (نور) وزنًا ؛ لذا فبدلًا من أن ينقذه (نور) ، جذبه هو معه ، وسقط الاثنان فى الهُوَّة ..

ومرَّة أخرى انتصر الشيطان ..

وانتصر ابنه ..

ابن إبليس ..

* * *



١١ ــ انتصار الشيطان ..

اعتدل رئيس قسم الطوارئ ، فى مستشفى (القاهرة) المركزىّ ، بعد أن انتهى من فحص (نشوى) ، التى سقطت فى غيبوبة عميقة ، وتطلّع إليها فى دهشة بالغة ، ثم هزّ رأسه فى حَيْرة ، مغمغمًا :

ــ عجبًا !! لقد بذلت تلك الفتاة الرقيقة الهَشّة ، التى يبلغ وزنها خمسة وخمسين كيلوجرامًا ، مجهودًا رهيبًا ، يفُوق مجهود فرقة انتحارية كاملة ، وأبدت قوّة مخيفة ، تتفوّق بها على أبطال الألعاب الأوليمبية ، ثم فجأة انهارت تمامًا ، حتى باتت عاجزة عن فتح عينيها ، وكل هذا فى أقل من نصف الساعة .

غمغم طبيب شاب :

ــ ربما تناولت بعض المنشّطات يا سيِّدى .

التفت إليه رئيس القسم ، وهو يقول :

ــ منشّطات ؟!.. أخبرنى بالله عليك يا فتى ، أى نوع هذا من المنشّطات ، الذى يجعل فتاة رقيقة قادرة على تحطيم مسدّس ليزرىّ قوىّ ، بضغطة واحدة من قبضتها .

هزّ الطبيب الشابّ كتفيه ، وقال :

ــ لا يوجد أىّ منشّط معروف بهذه القوّة بالطبع ، ولكننا لم نرَ ما حدث .

صاح به رجل الأمن فى خشونة وحِدّة :

ــ ماذا تُعنِى ؟

لوّح الطبيب الشابُّ بكفّه ، قائلًا :

ــ لست أُعنِى شيئًا .

قال رئيس القسم فى حزم :

ــ ولا يمكنك أن تعنِى شيئًا ، قبل أن نحصل على نتائج تحليل الدم .

وأشار إلى (نشوى) ، مستطردًا :

ــ خُذ عيِّنة من دمِها على الفور ، واطلب من الكمبيوتر سرعة تحليلها ، ووافنى بالنتائج على الفورْ .

انحنى الطبيب الشابّ ، وراح يحصل على عيِّنة الدّم من عروق (نشوى) ، وهو يغمغم :

ــ لن يستغرق ذلك سوى دقيقة واحدة ، باستخدام كمبيوتر التحليلات الخاصّ .

حمل العيِّنة داخل محقنه ، ووضعها داخل جهاز الكمبيوتر

الصغير ، وضغط أزراره فى سرعة ، ومضت لحظات من الصمت ، قبل أن تبرز على شاشة الكمبيوتر عبارة مخيفة :

ــ عامل مجهول .. لايشبه أيًا من العوامل المعروفة .. نسبة الشوائب ستون فى المائة .

اتسعت عينا رئيس القسم فى ذُهُول ، وهو يهتف :

ــ ستون فى المائة ؟!.. ياإلهى !!.. يالها من نسبة !!.. وأيضًا عامل مجهول ؟!

ثم التفت إلى (نشوى) ، واستطرد فى انفعال :

ــ كنت واثقًا من ذلك .. كنت واثقًا منه .

ورفعْ عينيه إلى رجل الأمن ، مردفًا فى قوّة :

ــ هذه الحالة لاشبيه لها .. لاشبيه لها قطّ ..

* * *

لم تكن تلك الهُوَّة عميقة ، كما توقَّع (نور) والدكتور (حجازى) ..

كانت مجرَّد حفرة عمقها متر واحد ..

وعندما ارتطم الاثنان بالأرض ، ألجمهما الذُّهُول ..

لقد رأيا نفسيهما داخل كهف ضخم ، يمتدُّ أمامهما إلى ما لانهاية ..

وهتف الدكتور (حجازى) ، وهو ينتزع نفسه من ذُهُوله :

ــ مستحيل !!

ثم التفت إلى (نور) ، مستطردًا فى توتُّر :

ــ أهو هنا منذ شيَّدت منزلك يا (نور) ؟

هتف (نور) ، وهو يتطلَّع إلى الكهف :

ــ مستحيل !.. لو أنه هنا لرآه من حفر أساسات المنزل .

سأله الدكتور (حجازى) فى خوف :

ــ إلى أين يمتد ؟

هبَّ (نور) واقفًا ، وهو يقول :

ــ لو أننى فى موضعك ، ما حاولت البحث عن الجواب .

قال الدكتور (حجازى) فى حزم :

ــ أنت فى موضعى بالفعل .

قال (نور) فى حِدَّة :

ــ إذن دَعْنا نَعُد معًا .

استدار ليعودا إلى ذلك الشق فى الحائط ، ولكن (نور) هتف فى دهشة :

ــ ياإلهى !!.. إننا لم نسقط بعيدًا إلى هذا الحدّ .



زادا من سرعتيهما ، ولكن الشقَّ راح يلتحم فى سرعة أكبر .. وأكبر

كان الأمر يدعو للدهشة بالفعل ، فخلفهما كان يمتد كهف آخر ، لمسافة مائة متر على الأقل ، وفى نهاية ذلك الشق ..

ودون أن يُضيعَ وقتا ، فى محاولة فهم الأمور ومَنْطَقَتِها ، هتف (نور) فى حزم :

ــ هيَّا يا دكتور (حجازى) .. سنعود من حيث أتينا .

انطلقا يَعْدُوَان عَبْرَ الكهف ، نحو الشق ، وعندما أصبحت المسافة التى تفصلهما عنه عشرة أمتار تقريبًا ، بدأ الشق يلتحم فى بطء ، فهتف (نور) :

ــ أسرع يا سيِّدى .. أسرع وإلا بقينا هنا إلى الأبد .

زادا من سرعتيهما ، ولكن الشق راح يلتحم فى سرعة أكبر .. وأكبر .. وأكبر ..

وفجأة ، التحم تمامًا ..

وتسمَّر الدكتور (حجازى) و (نور) فى مكانيهما ، وأحاط بهما الظلام ، قبل أن يصرخ الدكتور (حجازى) فى انهيار :

ــ لقد انتهينا يا (نور) .. لقد ضِعْنا .

حاول (نور) أن يقاوم حالة اليأس ، التى أنشبت مخالبها فى قلبه ، إلّا أنه لم يلبث أن استسلم لها ، وهو يغمغم :

ــ نعم يا دكتور (حجازى) .. لقد ضِعْنا .

* * *

برقت عينا الشيطان الصغير فى ظَفَر ، والتهبتا بنيران الفَوْز ، وهو يسترخِى فى مقعده ، فهتف (صفوت) :

ــ لقد انتصرنا يا سيِّدى .. أليس كذلك ؟

لم يجب (بعلزبول الصغير) ، وإن شفَّ لهيب عينيه عن الإيجاب ، قبل أن يقول :

ــ هل تعلم أيها البشرىّ ؟.. لقد كان جَدُّ هذا الرائد من أشرس وأقوى خصومى ، عَبْرَ تاريخكم البشرىّ .. إنه الوحيد الذى كشف نقطة ضعفى ، وقتلنى .

اتسعت عينا (صفوت) ، وهو يغمغم فى ذُعْر :

ــ قتلك ؟!

برقت عينا الشيطان الابن ، وهو يقول فى شراسة :

ــ هذا يَعْنِى أنه قد أجبرنى على الذهاب إلى حيث أبى ، ولمدة طويلة ، استغرقت سبعين عامًا من زمنكم .

وضمَّ قبضته فى غضب ، وهو يستطرد :

ــ وفى كل ثانية منها ، كنت أحلُم بالعَوْدة ، والانتقام .

تردَّد (صفوت) لحظة ، قبل أن يسأله :

ــ ولكن يا سيِّدى ، لماذا تبدو لى بشريًّا مثلنا ؟

أجابه فى صوت هادر :

ــ لأننى نصف بشرىّ .. أنتم تروننى بشريًّا ، وقوم أبى يروننى على هيئتهم .. كتلة من النار .

هتف (صفوت) فى رُعب :

ــ النار ؟

أجابه (ابن الشيطان) فى سُخرية :

ــ نعم أيها البشرىّ الأحمق .. إن نصفى من نار .

ثم نهض ، هاتفًا فى قوّة :

ــ ولقد انتصر هذا النصف .

غمغم (صفوت) :

ــ إذن فقد انتصرنا يا سيِّدى .

لوَّح (ابن الشيطان) بكفِّه ، وهو يهتف فى زَهْوٍ :

ــ ماذا تسمِّى هذا إذن ؟

وعادت عيناه تبرقان فى ظَفَر ، وهو يستطرد :

ـ ذلك الرائد ، حفيد (أوزيريس) ، مع زميله ، داخل كهف من كهوف العديدة ، تحت سطح الأرض ، لا يجدان لهما مخرجًا ، وابنته ، آخر من يحمل دم (أوزيريس) ، تلوَّث دمها بدمى ، فصارت تحمل جزءًا منّى ، ورُوحًا من قوم أبى ، ولا يملك دفع ذلك عنها سواى ، وسوى ترياق الخاصّ ، ماذا تسمى هذا إذن ، لو لم يكن انتصارًا ؟.

وانطلقت من حنجرته الناريّة ضحكة شيطانية مخيفة ، قبل أن يستطرد بعينين متوهجتين :

ـ انتصارًا ساحقًا .

غمغم (صفوت) فى هَيْبة وخوف :

ـ سيِّدى .. تقبَّل تهنئاتى ، و .....

قاطعه فى صرامة مخيفة :

ـ ليس الآن .

وازدادت عيناه توهُّجًا ، وهو يستطرد :

ـ عندما ينتهى الأمر تمامًا ، وأحوز السيطرة الكاملة على هذا العالم .

هتف (صفوت) فى لهفة :

ـ متى يا سيِّدى ؟.. متى ؟

ابتسم (ابن الشيطان) ابتسامة أشبه بالموت ، وهو يقول :

ـ قريبًا أيُّها البشرىّ .. قريبًا جدًّا .

وأطلق الشيطان الأكبر ضحكة ظافرة ..

لقد لاح له النصر ..

النصر التامّ ..

* * *

(انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثانى)

[مبعوث الجحيم]

رقم الإيداع ٣٢١٥